السبت 11 تموز 2020
العدد 4097 السنة الرابعة عشرة
Samedi 11 Juillet 2020 no 4097 14ème année

24 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

محمد ديب
مؤرشف الشقاء الجزائري

التحقيق الجنائيّ: إما أوروبيّ أو «بلديّ» [2]

الحكومة تعلن الحرب على «المياومين»

[4 ـ 5]

من اعتصام المياومين في مبنى مؤسّسة كهرباء لبنان عام 2018 (مروان طحطح)

تحقيق

لا أفراح في دياركم هذا الصيف!

6

سوريا

إلزام العائدين بتصريف 100$: **نحو إقرار استثناءات؟**

13

تقرير

كيف يرسم «كورونا» **مستقبل الاتحاد الأوروبيّ؟**

14

المشهد السياسي

التحقيق الجنائيّ في مصرف لبنان: إما أوروبيّ أو «بلديّ»

يستمر الموقف من كرول في إحداث انقسام داخل الحكومة، مع تمسّك الرئيس ميشال عون بها ورفض حزب الله وحركة أمل أن تتولى شركة تملك علاقات قوية مع إسرائيل التدقيق الجنائي في مصرف لبنان. الاقتراحات البديلة العمليّة، تبدا من تكليف شركة أوروبية وتنتهي بتكليف لجنة تدقيق جنائي من قضاة لبنانيين

من اعتصام أمام السفارة الأميركية في عوكر، أمس، دعت إليه منظمات شبابية وطالبية، «تنديداً بالتدخّلات الأميركية في السياسة الداخلية اللبنانية، ورفضاً للحصار الأميركي الجائر على لبنان، وتضامناً مع الشعب الأميركي ضدّ العنصرية» (تصوير مروان طحطح)

لا يزال الانقسام السياسي والحكومي، قائماً حول مسألة التدقيق الجنائي في مصرف لبنان، مع استمرار إصرار الرئيس ميشال عون على تولّي شركة «كرول» الأميركية هذه المهمّة. فخلال الأسبوع الماضي في جلسة الحكومة، طرح عون موضوع الشركة وسط تضارب الاتجاهات بين الوزراء، ما دفع الرئيس حسان دياب إلى طلب الاستمهال من عون. ثم عاد رئيس الجمهورية وتلقّف طرح وزير الصناعة عماد حب الله بتأجيل النقاش إلى جلسة لاحقة. إلّا أن هذا المشهد يمكن أن يتكرّر في الجلسة المقبلة، مع غياب الاتفاق على اسم شركة بديلة.

الموقف لدى حزب الله وحركة أمل برفض تكليف الشركة، لا يبدو أنه سيتغيّر مع المعطيات الموجودة، والتي

> **سلّم باسيل بري ورقة «إصلاحية» من 25 بنداً لإقرارها وتفعيلها في المجلس والحكومة**
>
> **قاسم: إذا أوصلونا إلى المحلّ الصعب فلدينا خيارات صعبة مختزنة لدى القيادة**

قدّمتها أوّلاً الأجهزة الأمنية، تحديداً الأمن العام ومخابرات الجيش، حول الشخصيات البارزة في «كرول» وعلاقاتها مع إسرائيل ودورها في بعض القضايا العالمية. وبحسب مصادر سياسية رفيعة المستوى في فريق 8 آذار، فإن الموقف يتلخّص بأن «كرول أو غيرها، إذا كانت تربطها علاقة مع إسرائيل من غير المقبول أن تكلّف بمهامّ داخل لبنان وخصوصاً من هذا النوع».

ووفق ما علمت «الأخبار»، فإن عون ينتظر من الأجهزة الأمنية إعداد تقارير جديدة عن الشركة، مع قناعته بأن ما قيل عن علاقتها مع إسرائيل «مضخّم». ويأتي موقف عون مدعوماً من عدد من المستشارين والسياسيين في التيار الوطني الحر وفي داخل الحكومة بين الوزراء المحسوبين على التيار، كوزيرة العدل الحالية ماري كلود نجم، والوزير السابق سليم جريصاتي الذي يتولّى مهمّة الدفاع عن الشركة و«مهنيّتها». في المقابل، بدأت شخصيات أخرى في التيار، ولا سيّما المحيطين بالوزير جبران باسيل، يلمسون استحالة موافقة ثنائي حزب الله وأمل على «كرول»، وخصوصاً أن الأميركيين كانوا قد طرحوا سابقاً تكليف «كرول» التدقيق الجنائي في «جمّال ترست بنك» قبل سنتين، إلّا أن الجهات اللبنانية رفضت ذلك. وتبيّن لدى أصحاب الرأي الآخر في التيار الوطني الحر، من البحث البسيط، أن «كرول ليست من ضمن الشركات الأولى عالمياً في مجال التدقيق الجنائي»، من دون أن يُفهم سبب إصرار الرئيس وبعض المحيطين به عليها. وبدأ هؤلاء بالبحث عن مخارج بديلة، تحقّق مطلب الرئيس بالتحقيق الجنائي ولا تقلق حزب الله بارتباطاتها بإسرائيل.

وجاء موقف الرئيس سعد الحريري من بكركي أول من أمس، برفضه الآخر في التيار الوطني الحر، من مبدأ التدقيق الجنائي في المصرف المركزي من أساسه، ليعبّر عمّا يجري الحديث عنه عن لسان شخصيات تيار المستقبل والنائب السابق وليد جنبلاط، بأن هدف عون «انتقامي لا إصلاحي»، وأن «ما يريده رئيس الجمهورية هو الانتقام من المرحلة الماضية ومن الحريري تحديداً ومعه حاكم مصرف لبنان رياض سلامة». في المقلب الآخر، يبدو التدقيق الجنائي بالنسبة إلى الرئيس نبيه بري «أبغض الحلال». فهو يفضّل أن لا يحصل في المصرف المركزي تدقيق جنائي «مع نوايا مسبقة من قبل عون»، لكنّه في الوقت نفسه لن يعطّل الأمر مع حزب الله، طالما أن الشركة التي ستُكلّف بالأمر مهنية ومحايدة. وعلى ما تسرّب من لقاء بري وباسيل، فإن ملامح تفاهم ما حول مسألة التدقيق الجنائي باتت تلوح في الأفق، مع المعلومات عن تقديم باسيل لبري لائحة بـ25 اقتراحاً «إصلاحياً» من الممكن أن تقوم الحكومة بها لـ«كسب ثقة المجتمع الدولي وتحسين شروط التفاوض مع صندوق النقد». ذات المصداقية والخبرة، بما يبعد احتمال التوظيف السياسي الأميركي والإسرائيلي لنتائج عمل الشركة المكلّفة.

من جهة ثانية، وفي حال الاتجاه نحو بدء التدقيق الجنائي من مصرف لبنان، فإن الحلول البديلة المقترحة، تُغلق الباب أمام الشركات الأميركية، وتفتح الباب أمام شركات أوروبية اسكندنافية أو ألمانية أو فرنسية، حيث تنتشر عشرات الشركات المهرّبة وإقرار وتفعيل قوانين مكافحة الفساد.

أما الاقتراح الثاني، فهو تشكيل لجنة تدقيق جنائي من قضاة لبنانيين يتمتعون بالسمعة الحسنة للقيام بأعمال التدقيق. وهذه التجربة، في حال التوصّل إلى اتفاق سياسي حولها، بتكليف القضاة من خارج لعبة المحاصصة الطائفية والسياسية التقليدية، يمكن أن تشكّل نموذجاً مشجّعاً، كخطوة متقدّمة تحفظ السيادة اللبنانية من انكشاف إضافي أمام جهات خارجية، وتعيد الثقة إلى القضاء وإلى مفهوم الدولة، مع تاكل ما تبقّى منها تحت وطأة الانهيار الاقتصادي والانقسام السياسي.

«حقوق الإنسان» تحذّر وتراجع اميركي «تكتيكي»

في سياق آخر، بدا تحذير مفوّضة الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، ميشيل باشليه من أن «الوضع في لبنان، الذي يواجه أسوأ أزمة اقتصادية في تاريخه، يخرج بسرعة عن السيطرة»، بعد التماس غالبية القوى الإقليمية والدولية، تسارع الأزمة في الداخل نحو انفجار غير محسوب النتائج، وخصوصاً أن حزب الله لجأ إلى إدخال عناصر جديدة على مستويات المواجهة كالتفاهم مع الصين وتلقي الدعم الإيراني النفطي، لإيجاد حلول تخفّف من وطأة الأزمة الاقتصادية وتكسر الدورة الكلاسيكية في لبنان، بدل المسارعة إلى الانكفاء أمام الهجمة الأميركية وتعاظم التحديات الداخلية. أما الجزء الثاني من كلام باشليه وقولها إن «بعض اللبنانيين الأكثر ضعفاً يواجهون خطر الموت بسبب هذه الأزمة» وإنه «علينا التحرك فوراً قبل فوات الأوان»، يتوافق أيضاً مع تطوّرات الأيام الأخيرة، وبدء البحث الجدي الغربي، لتقديم مساعدات معيّنة للبنانيين، بعد اتجاهات سابقة، بترك الأوضاع تتفاقم في البلد. وتضمن المساعدات الغربية عدم خروج الأمور في البلاد عن السيطرة، واستباق إمكان قيام حزب الله بأيّ خطوات جذرية على مستوى العلاقات التجارية مع إيران، إضافة إلى تأمينها استمرار النفوذ السياسي.

هذا التحوّل الأميركي الأوّلي، وصفه نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم أمس، بأنه «تراجع تكتيكي»، مؤكداً في مقابلة مع قناة «المنار»، بأن «حزب الله يقوم بمنظومة حماية وجهوزية تجعله قادراً على منع فرض خيارات الآخرين عليه». وقال إنه «إذا أوصلونا إلى المحل الصعب فلدينا خيارات صعبة وهذه مختزنة لدى القيادة نستخدمها في الوقت المناسب، الخيار الصعب تحدّده هذه القيادة وقد يكون مجموعة أمور أو اتجاهات».

واعتبر قاسم أن «كلّ الحديث عن رحيل الحكومة هو فقاعات إعلامية وسياسية تعبّر عن تمنيات السفيرة الأميركية ومن لفّ لفّها»، مؤكداً أن «هذه الحكومة باقية ويجب منحها الفرصة الكافية والعمل معها ودعمها، والشعب معنيّ بحماية الحكومة لا مواجهتها لأن البديل هو الفراغ»، وأن «موقف الحزب هو مواجهة الفساد بلا سقف وفي كل مكان».

وعن التهديدات الإسرائيلية وإمكانية وقوع الحرب، جزم قاسم بأنه «إذا وقعت الحرب مع إسرائيل فستكون قطعاً هي الجهة الخاسرة، قدرات المقاومة وحضورها أكبر بكثير من تموز 2006، وإسرائيل تعي ذلك جيّداً».

(الأخبار)

تقرير

حكاية الفيول المغشوش في 114 صفحة: اتهام رحمة وحليس وفغالي وحايك والفوال

أصدر القاضي نقولا منصور قراره الظني في قضية الفيول المغشوش، حيث ادّعى على 30 شخصاً من ضمنهم أورور الفغالي وسركيس حليس. وفي متن قراره الظني المفصّل، شرح القاضي كيفية حصول التلاعب في الفحوصات المخبرية، كاشفاً كيفية دفع وقبض الرشاوى من قبل ممثل طارف الفوال الذي يُعرف بكونه ممثل شركة سوناطراك الجزائرية

رضوان مرتضى

على مدى 114 صفحة، سرد قاضي التحقيق الأول في جبل لبنان نقولا منصور حكاية الفيول المغشوش. أعاد سرد إفادة الموقوفين أمام محققي فرع المعلومات انطلاقاً من التحقيقات الأولية. وخاض تفصيلياً في إفادة جميع الموقوفين من المتهمين الذين بلغ عددهم ثلاثين متّهماً، قبل أن يقاطع اعترافاتهم لتحديد كيفية تزوير نتائج الفحوصات المخبرية للفيول ويشير إلى الرشاوى التي كان يقبضها عدد كبير من الموظفين. كذلك استمع القاضي إلى شهادة وزراء سابقين من بينهم ندى البستاني ومحمد فنيش الذي وقّع الاتفاق مع الشركة الجزائرية قبل 15 عاماً.

وسرد منصور كيف حاول كل موظف رمي التهمة عنه، للتهرّب من المسؤولية، إلّا أن ربط النقاط ببعضها، أظهر حجم الفساد الذي كان يتآكل قطاع النفط.

بدأت القصة بحسب القرار، بعدما أقدم طارق فوال على ارتكاب جرم الاحتيال عن طريق إيهام شركة كهرباء لبنان بأن شحنة الفيول المحمّلة على متن الباخرة BALTIC مطابقة للمواصفات، وإقدامه على إيهام الشركة أيضاً بأن شركة SONATRACH هي التي اشترت حمولة الباخرة خلافاً للحقيقة. ودفع طارق رشاوى للعاملين في منشآت النفط. ويقول المتهم في التحقيق، إنه لا يتقاضى أي راتب من Sonatrach مقابل تمثيله لها في لبنان، بل يتقاضى مبالغ مالية مقابل تخليصه البضاعة، معترفاً بوجود تواطؤ بين المدير التنفيذي إبراهيم الذوق والمدير العام لشركة Sonatrach محمد الدماك. وكشف أن الأخير طلب منه عدم ذكر اسم ZR Energy في تعاملاته مع الموظفين في منشآت النفط ووزارة الطاقة، وأنه يبرر الفرق في النتائج بين بلد المنشأ والمختبرات التابعة للمنشآت إما بالقول إنه خطأ في المختبرات أو تفاعل كيميائي.

ويذكر القاضي منصور في متن قراره الظني، أن إبراهيم الذوق وتيدي رحمة تدخّلا في هذه الجرائم وأقدما على ارتكاب جرم صرف النفوذ وجرم تبييض الأموال، وأن كلاً من ميرنا خ. وعبدالله ع. ورفعت ع. ومحسن غالب وشذى ج. ويوسف ف. وريمون ع. وروجيه ع. ووعد ز. وفارس م. وخديجة ن. وإيفا ب. زوّروا تقارير خبرة فنية ومستندات وأقدموا على «استعمال المزور». كذلك تبين بحسب القرار، أن جورج ص. تدخّل بجرائم التزوير وقبض الرشاوى. كذلك قام كل من إيلي ح. وفارس م. بالتدخل في قبض رشاوى. وأشار إلى أن سركيس حليس ارتكب جرائم الإخلال بواجبات الوظيفة وتبييض الأموال. ويرد في التقرير أن أورور فغالي حصلت على منافع مادية من شركة الفيول، «الأمر الذي يُعدّ جرماً».

كذلك ورد في القرار الظني أن كلاً من عبدالله وفارس وإيلي، قاموا بدفع رشاوى لموظفي المنشآت من أجل تغيير نتيجة الفحوصات المخبرية. كذلك أشار القاضي منصور إلى أن المدعى عليه سركيس ح. أقدم على «التماس منفعة غير واجبة من شركة ZR Energy SAL التي سدّدت له ولعائلته بطاقات سفر درجة أولى وإقامة في الفنادق في إيطاليا». كذلك اتّهم كل من محسن غ. وفايز م. ورفعت م. وجورج ش. بقبض رشاوى لتغيير نتائج الفحوصات المخبرية وجعلها مطابقة للمواصفات.

كما ادّعى على أورور فغالي بجرم احتساب ساعات إضافية للموظفة خديجة ن. خلافاً للحقيقة، مشيراً إلى أن فغالي والمدير العام لمؤسسة كهرباء لبنان كمال حايك أخلّا بواجبات الوظيفة عن طريق عدم إبلاغ السلطات المختصة عن حقيقة تلوث البحر من مادة المازوت في عام 2019. كذلك ادّعى بأن كمال حايك لم يتخذ الإجراءات المناسبة بعد سؤاله من قبل شركة MEP عن نوعية الفيول المحمل على إحدى البواخر والتي اتضح لاحقاً أنها مخالفة للمواصفات. كذلك ورد أنّ ابراهيم الذوق وشركة ZR Energy SAL دفعا رشاوى وحرّضا على تزوير نتائج الفحوصات، تبين لاحقاً أنها مخالفة للمواصفات. وتحدّث القاضي عن كيفية التلاعب بنتائج الفحوصات، متحدثاً

> **ورد في القرار أنّ الذوق وشركة ZR Energy دفعا رشاوى وحرّضا على تزوير نتائج الفحوصات**

عن رشاوى تُراوح بين 200 ألف ليرة و2000 دولار.

صدر القرار وفقاً وخلافاً لمطالعة النيابة العامة الاستئنافية في جبل لبنان. فاعتبر أنّ أفعال كل من المدعى عليهم ZR Energy DMCC وطارق فوال وابراهيم الذوق وفارس م. وإيلي ح.، بمثابة الجناية التي تصل عقوبة السجن فيها إلى ثلاث سنوات. واعتبر فعل المدعى عليهم ريمون ع. وميرنا خ. وجورج ص. ورفعت ع. وعبدالله ع. وفايز م. ويوسف ب. وروجيه ع. وإيفا ب. من نوع جناية المادة 352 عقوبات كما والظن بهم بجنحة المادة 471 عقوبات. كذلك ظنّ بالمدعى عليهم ZR Energy DMCC و ZR Group holding SAL وطارق فوال وتيدي رحمة وابراهيم ذوق وفارس م. وإيلي ح.، بجنحة المادة 471/454 معطوفة على المادة 210 عقوبات بالنسبة إلى الشركتين.

كذلك ظن بالمدعى عليهم ZR Energy DMCC و ZR Group holding SAL وطارق فوال وتيدي رحمة وابراهيم ذوق، بجنح المواد 655 و 682/683 عقوبات معطوفة على المادة 219 بالنسبة إلى المدعى عليه طارق وعلى المادة 210 عقوبات للشركتين، كما والظن بالمدعى عليه طارق الفوال بجنحة المادة 354 عقوبات. كما ظنّ بالمدعى عليهم ZR Energy DMCC و ZR Group holding SAL وتيدي رحمة وابراهيم الذوق بالمادة الأولى الفقرة 9 من القانون رقم 44/2015 معطوفة على المادة 210 بالنسبة إلى الشركتين. كذلك ظن بالمدعى عليهما سركيس حليس وخديجة ن، بجنح المواد 351 و 373 و 376 عقوبات. وظنّ بالمدعى عليها أورور فغالي بجنح المادتين 373 و 376 عقوبات. كما ظنّ بالمدعى عليه جورج ش، بجنح المواد 357/219 و 471/219 عقوبات. ومنع المحاكمة عن المدعى عليهما أورور الفغالي وخديجة ن. بجرم المادة 459 عقوبات، وعن المدعى عليهما شذى ج. ووعد ز. بجرم المادتين 352 و 471/219 عقوبات، وعن المدعى عليها ديما ح. بجرم المادة 376 عقوبات للشك وعدم كفاية الدليل.

(مروان بو حيدر)

تقرير

71 إصابة جديدة: هل بدأت الموجة الثانية؟

لليوم الثاني على التوالي، يسجّل عدّاد «كورونا» أرقاماً مرتفعة بعد إعلان وزارة الصحة العامة عصر أمس تسجيل 71 إصابة (67 من المقيمين و4 من الوافدين)، ليرتفع العدد الإجمالي للإصابات منذ 21 شباط الماضي إلى 2082 إصابة.

وتُعدّ هذه الأرقام لافتة مُقارنةً مع المُعدّلات «المعتادة» التي تُسجّل في البلاد منذ الأسبوع الأخير الذي سبق موعد إعادة فتح المطار في الأول من الشهر الجاري حتى يوم الخميس الفائت، علماً بأن أعداد الفحوصات المخبرية التي أجريت خلال الـ24 ساعة الماضية وصلت إلى 4563 فحصاً (1940 فحصاً للمغتربين و2523 فحصاً للمُقيمين).

ووفق وزارة الصحة، فإنّ النسبة المئوية للفحوصات الإيجابية خلال الـ24 ساعة الماضية بلغت 1,5%. وفيما لم تُسجّل أي حالة وفاة جديدة وبقي أعداد الوفيات مُقتصراً على 36 حالة، وصل عدد المتعافين من الوباء إلى 1402(شخصين) ، ما جعل عدد المصابين الفعليين يبلغ الـ 644 حالة، 39 منهم فقط يُقيمون في المُستشفيات (11 من هؤلاء في العناية الفائقة). ولئن كانت الوزارة تستند إلى هذه المعطيات في رأيها الذي يفيد بأن الوضع لا يزال تحت السيطرة حتى الآن، فهي (الوزارة) لا تُخفي أن هناك ما يبعث على القلق، وخصوصاً أن من بين الإصابات المحلية الوافدة (البالغ عددها 67)، هناك 16 إصابة جديدة «لا نزال نتتبّع مصدر إصابتها»، وفق مصادر الوزارة التي أوضحت لـ«الأخبار» أن هناك أسبوعاً ينتظرنا من الرصد والتأهب قبل التوصل إلى أي خلاصة. هل يُمكن اعتبار هذه الأعداد إعلان بدء الموجة الثانية من الفيروس؟ «علينا

> **من بين 67 إصابة محلية، هناك 16منها لا تزال الوزارة تتتبّعُ مصدرها**

أن ننتظر فترة لنحكم»، مُشيرةً إلى أن من بين الإصابات المرتفعة هناك 34 عاملاً يعملون لدى شركة رامكو، وأن العمل جارٍ لضبط العدوى وبالتالي من المُبكر الحديث عن مسار جديد للوباء قبل السيطرة على التجمّعات الموبوءة ومكامن الخلل الحاصلة.

ومن المعلوم أن تحديد مسار الوباء يستتبع إجراءات جديدة ستكون مختلفة أكثر من مرحلة التعبئة العامة التي يبدو أنها «شكلية». تقول المصادر في هذا الصدد إنه صحيح أن الحياة عادت إلى طبيعتها داخل البلاد «إلا أن المقصود بالتعبئة هو الإجراءات المتّخذة على صعيد الحدود والقدرة الاستيعابية للمطار وغيرها».

(الأخبار)

على الغلاف

الحكومة تعلن الحرب على «المياومين»

تُريد الحكومة تقليص نفقاتها عبر صرف عاملين «غبّ الطلب» (المياومين) في المؤسسات التابعة لوزارة الطاقة والمياه. هذه المؤسسات تُعاني أصلاً من نقص في موظفيها، ولا يحتمل تسيير المرفق العام فيها «تشحيلاً» إضافياً. فئة «المياومين» هي الأشد ضعفاً في سلسلة الإنفاق العام، ومداخيلهم تآكلت بسبب تراجع قيمة الليرة وغلاء الأسعار. وكلفة توظيف عمال «دائمين» أكبر بكثير من كلفة المياومين المتروكين منذ نحو عقدين بلا ضمانات. لكن يبدو أن الحكومة تريد أن تبدأ «الإصلاح» من الأضعف، بعدما عجزت عن المسّ بالأقوى

من اعتصام للمياومين عام 2013 (مروان بو حيدر)

> ممثلو العمّال يرضخون لممثلي رأس المال: **شقير يرفض تصحيح الأجور**

ببيان عام، انتهى الاجتماع بين هيئة مكتب الاتحاد العمالي برئاسة الرئيس بالإنابة حسن فقيه، ووفد من الهيئات الاقتصادية برئاسة محمد شقير، أول من أمس. صلب الموضوع، أي تصحيح الأجور لم يتناوله البيان، الذي أراد أن يحافظ على أجواء الودّ بين الطرفين. الودّ هنا يعني رضوخ ممثلي العمال لأصحاب العمل، الذين يردّدون أن الأزمة تطاولهم كما تطاول العمال.

على هامش اللقاء، سئل شقير عن مسألة تصحيح الأجور، فاكتفى بتأييد تصحيح الحدّ الأدنى حصراً. ورفض أن يطاول التعديل شطور الراتب، كما يحصل عادة (تطاول الزيادة كلّ الرواتب، لكن نسبة الزيادة تنخفض كلّما كان الشطر أعلى). لم يجد من يوضّح له أن من يتقاضى مليون ليرة أو مليونين وضعه ليس أفضل من ذوي الحدّ الأدنى. ركّز المجتمعون على ما سمّوه ضرورة تحصين أوضاع العمال اللبنانيين، عبر اتخاذ إجراءات صارمة للحفاظ على الوظائف والأعمال التي يعملون فيها ومنع إحلال العمالة الأجنبية مكان اليد العاملة اللبنانية، وبالتالي خلق فرص عمل للبنانيين. وتمّ الاتفاق على تحضير اقتراح في هذا الإطار، والقيام بزيارة مشتركة لرئيس مجلس النواب نبيه بري ولوزيرة العمل لميا يمين، لعرضه عليهما وطلب مساعدتهما على وضعه موضع التنفيذ في أسرع وقت ممكن.

كما بحث المجتمعون تدهور سعر صرف الليرة وتأثيره على الأجور والقدرة الشرائية للمواطنين. وكذلك تم البحث في تقديمات الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، وأهمية القيام بمبادرات حكومية لدعم القطاعات الإنتاجية، الصناعة والزراعة والتجارة والسياحة. وتمكّن ممثلو رأس المال من استدراج ممثلي العمال إلى «ملعبهم»، إذ اتفق الفريقان على «ضرورة التوجه إلى صندوق النقد الدولي للحصول على دعم لتعويضات نهاية الخدمة»!

(الأخبار)

ليا القزي

تتصرّف الدولة اللبنانية مع قضية الموظفين في القطاع العام، كما لو أنها طبيب عاين مريضاً يعاني من التهاب في كاحله، فقرر بتر رجله بكاملها. انقطاع الدولارات، عجزٌ في ميزان المدفوعات والميزان التجاري، هدر في المال العام، تركّز للثروة لدى القلة... ولكن العاملين في القطاع العام حُوّلوا إلى «الشيطان الأكبر». ليس الدين العام، والفوائد الهائلة عليه، ليس غياب الإدارة الرشيدة، ليست الزبائنية السياسية، هي من مسببات الأزمة. باتت مشكلة البلد محصورة في الوظائف العامة، وتحديداً، في الفئة الأشد ضعفاً من الموظفين، أي المياومين. أُريد تعميم هذه النظرية وتسويقها لدى الرأي العام، وقد ساهم فيها أيضاً أنّ قوى سياسية استخدمت المياومين في صراعها السياسي ووجدت فيهم «باباً» ممتازاً لتوسيع رقعة سيطرتها الاجتماعية. يُضاف إلى ذلك المؤسسات التي انتهجت «الخداع» في هذا الملفّ، فكانت وبالاتفاق أحياناً مع المتعهدين، تعمد إلى عدم تقديم لوائح بالموظفين وبالرواتب التي يحصلون عليها، ما ساهم في تحويل المياومين إلى «مصدر تبذير» في الدولة.

بحجة «التقشّف» الذي تُعاني الدولة من «تُخمة» منه، تبحث الحكومة في إلغاء العديد من وظائف «غبّ الطلب»، أو المياومين. المُستغرب أن تكون هذه الوظائف تُشكّل حاجة للإدارات بغية تسيير المرفق العام، وأن إلغاءها سيُعطّل العديد من الأعمال الضرورية. ولكنّ الحكومة تبدو ماضية في اتخاذ خطوات، يمكن أن يكون لها وقع «شعبي إيجابي»، والانطلاق من المؤسسات الخاضعة لوصاية وزارة الطاقة والمياه.

يوم أمس، 10 تموز، أرسل وزير الطاقة والمياه ريمون غجر كتاباً إلى رئاسة مجلس الوزراء، حول الاستعانة باليد العاملة (غبّ الطلب) في المؤسسات الخاضعة لوصاية وزارته، رداً على طلب الحكومة معرفة أعداد وكلفة المياومين في المؤسسات الست التابعة لوزارة الطاقة.

الكتاب تضمن دحضاً للدعاية بأنّ المؤسسات تُعاني من فائض في التوظيف، إذ ورد فيه أنه في جميع هذه المؤسسات، لا يصل عدد الموظفين الموجودين حالياً إلى نصف العدد المنصوص عليه قانوناً في الملاك الإداري، وفقاً للآتي:

- كهرباء لبنان: عدد الملاك 5036 موظفاً، الموجود منهم حالياً 1536 موظفاً، العدد المستعان به 961 موظفاً.
- المصلحة الوطنية لنهر الليطاني: عدد الملاك 500 موظف، الموجود حالياً 190 موظفاً، العدد المستعان به 230 مياوماً.
- مياه بيروت وجبل لبنان: عدد الملاك 1120 موظفاً، الموجود حالياً 374 موظفاً، العدد المستعان به 480 مياوماً.
- مياه لبنان الشمالي: عدد الملاك 1256 موظفاً، الموجود حالياً 251 موظفاً، العدد المستعان به 423 مياوماً.
- مياه لبنان الجنوبي: عدد الملاك 872 موظفاً، الموجود حالياً 214 موظفاً، العدد المستعان به 870 مياوماً.
- مياه البقاع: عدد الملاك 786 موظفاً، الموجود حالياً 174 موظفاً، العدد المستعان به 234 مياوماً.

ولفت كتاب «الطاقة» إلى أنّ «العمّال المُستعان بهم أُحيلت الاعتمادات لهم في موازنات مؤسساتهم ويقومون بالإضافة إلى الأعمال الجسدية (أي اليدوية) بأعمال إدارية وفنية يتطلبها حسن سير المرفق العام وتأمين سلامة الاستثمار والحفاظ على استمرارية تأمين الخدمات الحيوية على مساحة الوطن، وأنّ توقّف العمل ستنتج عنه أزمات اجتماعية لـ3198 عاملاً غبّ الطلب (مياوم)».

وزارة الطاقة أخذت برأي مجلس الخدمة المدنية، بأنّه «لا يجوز من حيث المبدأ أن تجري مؤسسة كهرباء لبنان صفقات الاستعانة بيد عاملة فنية إلا للقيام بمهام تتطلب أعمالاً جسدية وليس القيام بمهام قد تتعلّق بمراكز أو وظائف ملحوظة من الملاك، باعتبار أنّها تُخفي استخداماً مُقنعاً». لذلك، اقترحت «الطاقة» إما أن يجري التمديد لستة أشهر لإطلاق صفقة تنحصر بالأعمال اليدوية فقط، أو التمديد لسنة كاملة، يُصار بعدها إلى ملء الشواغر وتبديل العمّال. والعبارة الأخيرة تعني أن الوزارة تقترح صرف المياومين، وتوظيف عمال في الملاك. واقتراح التوظيف هذا يتناقض مع المادة 80 من القانون رقم 144 (الموازنة العامة والموازنات الملحقة لعام 2019)، نصّت على وقف التوظيف والتعاقد في الإدارات والمؤسسات العامة لمدة 3 سنوات.

معظم المياومين في المؤسسات التابعة لوزارة الطاقة، ليسوا جُدداً، بل تمّت «وراثتهم» على مدى السنوات، من كلّ متعهد يأتي لتنفذ مشروعاً ما. فتحول العقد مع المتعاقدين من مُحدد بسنة، إلى عقد يتم تجديده بشكل دائم. ما يعني أنه، وبحسب المادة 58 من قانون العمل، التجديد يفضي حكماً إلى «تطبيق الأحكام المتعلقة بالعقود غير المحددة المدّة، في ما خصّ تعويضات الصرف».

المصلحة الوطنية لنهر الليطاني، بشخص مديرها العام، سامي علوية، أرسلت كتاباً إلى وزارة الطاقة يتناول «مُبررات التوظيف». وشرحت أنّ أشغال «المصلحة» تستدعي في معظمها «عملاً مستمراً على مدار الساعة»، موضحة أنّها تُنظم دورياً مناقصة عمومية لتلزيم «تقديم يد عاملة مختلفة لزوم أعمال المصلحة الوطنية لنهر الليطاني إلى قطاع متخصص»، ولا سيّما مع تزايد أعداد المُحالين على التقاعد من موظفيها. المهام التي تقوم بها «المصلحة» مُتشعّبة، ومشاريعها منتشرة على أكثر من 20% من مساحة لبنان، رغم ذلك، «تُعاني المصلحة من نقص في عدد المستخدمين والذي تخطّى 60% من العدد المطلوب. العدد الحالي للبند العاملة 420 موظفاً، لا يُغطي العدد المطلوب فعلياً والملحوظ في الهيكلية التي أقرّها مجلس الإدارة». لذلك، يتعذّر على المصلحة الوطنية لنهر الليطاني «تأمين استمرارية الإنتاج في معاملنا من دون الاستعانة باليد العاملة المتخصصة، بانتظار تعيين مستخدمين جدد لتغطية النقص الحاصل والمتزايد».

وأشارت «المصلحة» إلى أنّ النتائج السلبية للاستغناء عن المياومين لن تقتصر على أوضاع المصروفين المعيشية، «بل ستنعكس سلباً على أوضاع الاستثمار وستُشكّل تهديداً لسير المرفق العام في ظل الشغور والممارسات غير الإدارية وغير العلمية».

قد يكون القطاع العام بحاجة إلى «إعادة هيكلة» من أجل تحسين مستوى الموظفين وتوزيعهم بحسب المراكز المُخصصة لهم وحيث توجد حاجة. ولكن الخطوات «الشعبوية» تعني أنّ السياسة المُقرّرة هي «إفراغ المؤسسات»، بعد أن توقّف التوظيف عبر مجلس الخدمة المدنية. يومها أوعزت السلطة السياسية إلى المؤسسات بالاستعانة بالمياومين. فإذا كان الهدف اليوم الاستغناء عن عمّال غبّ الطلب، فمن «يكبس زرّ» التشغيل في هذه المؤسسات؟

«السرفيس» بثلاثة آلاف ليرة الأسبوع المُقبل

هديل فرفور

حتى الآن، لم تصدر التعرفة الجديدة للنقل العام، الذي كان من المُقرّر أن يُعلن عنها يوم الخميس الفائت. ووفق معلومات «الأخبار»، فإنّ اتحاد النقل البري سيستكمل اجتماعاته «النهائية» مطلع الأسبوع المُقبل قبل أن يُعلن، رسمياً، التسعيرة الجديدة. وكان الاتحاد قد اجتمع، أمس، في مبنى وزارة الأشغال العامة والنقل مع كلّ من المدير العام للنقل البري والبحري عبد الحفيظ القيسي والمدير العام لوزارة الاقتصاد محمد أبو حيدر للبحث في مطالب الاتحاد المُستجدة على ضوء الأزمة الاقتصادية ومن ضمنها مطلب زيادة التعرفة.

وعلمت «الأخبار» أنّ هناك توجهاً لرفع تسعيرة الـ«فانات» إلى 1500 ليرة فيما ستُحدّد تعرفة «السرفيس» بـ3000 ليرة. وذلك استناداً إلى دراسة مصغّرة مُعدّة من قبل القيسي يُفنّد فيها التكاليف المُستجدة بفعل الأزمة على السائقين. وفيما تذكر الدراسة أن رسوم الميكانيك والمعاينة محدّدة بالليرة اللبنانية وبالتالي لا تكلفة إضافية على السائقين العموميين، تُشير إلى تكلفة بواليص التأمين المحددة بسعر الدولار على أساس 2600 ليرة، فضلاً عن تكلفة التغيير الفجائي لقطع السيارات أو المعاينات الدورية التي تستلزم استبدال القطع المستوردة على أساس سعر الدولار في السوق. وعليه، تذكر الدراسة أن هذا التغيير في التكلفة يُحتّم رفع التسعيرة من ألفَي ليرة إلى 2700 ليرة لسيارات الأجرة و1250 للفانات، «إلّا أن الاتحاد سيعلن التسعيرة النهائية إما يوم الأربعاء، المقبل أو الخميس المُقبل بحضور الوزراء المعنيين»، بحسب مصادر الاجتماع.

> رفع التسعيرة مرتبط بتكلفة بواليص التأمين المحدّدة بسعر الدولار وقطع السيارات

وكان رئيس الاتحاد بسام طليس قد صرّح سابقاً لـ«الأخبار» أن مطالب الاتحاد مرتبطة بالدرجة الأولى بالغلاء المعيشي الذي يرزح تحت عبئه السائقون، كما بقية المُقيمين في لبنان.

علماً بأن الاتحاد كان يُطالب بدعم استيراد قطع السيارات للسائقين العموميين أسوةً بدعم السلة الغذائية، إلا أن وزارة الاقتصاد رفضت هذا الاقتراح. وأوضح أبو حيدر في اتصال مع «الأخبار» أن خيار دعم قطع السيارات المستوردة سقط أمس حُكماً في الاجتماع. لافتاً إلى أن «الوزارة غير قادرة على تقديم المُساعدة في هذا المجال، وهي لا تستطيع أن تقدم العون للسائقين في النطاق الذي يخرج عن موجبات قانون حماية المُستهلك، لجهة تلقّي شكاوى بشأن أسعار خيالية لقطع معيّنة أو لجهة استيراد قطع مغشوشة».

> تخطّى نقص العمال في المصلحة الوطنية لنهر الليطاني 60%

تقرير

وليّ أمر يدّعي على مدير «الأنطونية ـ عجلتون»: أرباحكم تزيد على 3 ملايين دولار سنوياً!

فاتن الحاج

تجني المدرسة الأنطونية الدولية في عجلتون أرباحاً سنوية لا تقلّ عن 3 ملايين دولار. هذا ما أظهرته شكوى حملت الرقم 16768 /2020 تقدّم بها، أخيراً، ولي أمر تلامذة في المدرسة أمام النيابة العامة الاستئنافية في جبل لبنان، وادّعى فيها على الأب أندريه ضاهر بصفته مدير المدرسة، بجرائم إساءة الأمانة والتزوير واستعمال المزوّر والاحتيال. في الشكوى، طلب المدعي إلزام المدّعى عليه توضيح كل بيانات الموازنة المدرسية للعام الدراسي 2017 – 2018، وإثباتها وإعادة قيمة الفرق بين الأقساط المستحقّة والأقساط المدفوعة عن عام 2017 -2018، استناداً إلى المادة 4 من القانون 1996/515 التي أقرّت بأن الأقساط المسدّدة والتي تفوق قيمة الأقساط المستحقة، تكون من حق أولياء الأمر استردادها. كما طلب المدعي إلزام المدعى عليه بإعداد قطع حساب عن عام 2017 -2018 لإعادة إعداد موازنة عام 2018-2019 وتحديد الأقساط استناداً إليها، ليصار بعدها أيضاً إلى إعداد قطع حساب عام 2018 -2019 ليتم إعداد موازنة عام 2019 -2020.

> المدّعي طلب استرداد الفائض عن الأقساط المستحقّة

وفي تفاصيل الشكوى أن موازنة المدرسة لعام 2017-2018 تضمّنت بندين ينبغي التحقّق بجدية من صحتهما، الأول الرسم البلدي على القيمة التأجيرية ويبلغ 698 مليوناً و501 ألف و250 ليرة، علماً بأن بلدية عجلتون لم تكلّف المدرسة أي رسم سابقاً ولم تلحظ أي من موازنات السنوات السابقة رسماً كهذا، ما دعا المدعي للسؤال عما إذا كان إيراد هذا الرسم لتبرير ضرورة وجود زيادة على الأقساط لتغطية قانون سلسلة الرتب والرواتب الرقم 46 الصادر بتاريخ 2017/8/21 أم هو مجرد رقم يُدرج كل سنة في الموازنة في بند «رسم بلدي على القيمة التأجيرية» من دون تسديده لبلدية عجلتون تحقيقاً لربح حتمي؟

والبند الثاني تصريح المدرسة بأنها تسدد مبلغ 8500 دولار أميركي يومياً كبدل صيانة!

وبرز في جدول نفقات الأجور وجود 21 راهباً أنطونياً يتقاضون راتباً شهرياً يراوح بين 8 ملايين و250 ألف ليرة و9 ملايين و250 ألف ليرة، أي ما مجموعه نصف مليون دولار سنوياً، والأهم أنّه لا يوجد سوى أربعة من هؤلاء الرهبان في المدرسة، وأما الآخرون فيخدمون في مدارس أخرى، أو في أديرة وحتى في بلاد الاغتراب. وتضاف إلى ذلك نفقات وهمية أخرى تبين من خلال احتسابها أنّه يوجد مبلغ غير صحيح بقيمة 3 مليارات و717 مليوناً و826 ألفاً و154 ليرة (أي أن هذا المبلغ بمثابة فائض أو ربح سنوي صافٍ).

وفي مطلع العام الدراسي 2018 -2019 تم إقرار الموازنة السنوية للمدرسة، التي تضمّنت البيانات والأرقام نفسها المدرجة في الموازنة السابقة من دون تعديل أو تصحيح لما ورد فيها من شوائب، ومن دون أن يتم قطع حسابات الأقساط الفائضة التي دفعها الأهالي منها، وعدم إعادة هذه الأقساط، ما يؤكد أن المدرسة حقّقت أرباحاً طائلة لسنتين متتاليتين مستعملة الأساليب والمستندات المزوّرة.

وعندما راجع المدعي إدارة المدرسة لاستعادة المبلغ المستحق له، أنكرت، كما جاء في الشكوى، «الأرباح غير المشروعة التي حقّقتها، ورفضت إعادة الفائض الذي يستحق لمصلحة المدعي وحسم أي مبلغ من الأقساط الدراسية عن عام 2018 - 2019».

قانونياً، اعتبرت الشكوى أن رفض إعادة المبالغ المستحقة للمدعي من قيمة الفرق بين الأقساط المدفوعة والأقساط المستحقة ينطوي على جرم إساءة الأمانة المنصوص عليه في المادة 671 من قانون العقوبات. وتحدّثت عن تزوير بيانات موازنة عام 2017- 2018 لرفع قيمة النفقات وإعادة استعمال المزور في موازنة 2018 - 2019 ، إضافة إلى استغلال قانون السلسلة والقيام بمناورات احتيالية لكسب أرباح غير شرعية.

يُنتظر أن تشهد الأيام المقبلة تقديم ادّعاءات مماثلة ضد الرهبنة الأنطونية.

تحقيق

يترحّم العرسان في لبنان على زمن كان على العريس فيه أن يثبت قوته للعروس واهلها برفع جرن للكبّة يصل وزنه إلى 50 كيلوغراماً. في زمن بات فيه تامين الكبّة أصعب من رفع الجرن! «همّ العرس» أصبح اليوم أكبر من قدرة معظم المقبلين على الزواج، وموسم الأعراس الذي كان يساهم بنحو مليار دولار في الاقتصاد اللبناني أصبح في خبر كان

مليار دولار مساهمة حفلات الزفاف في الاقتصاد اللبناني سنويّاً

لا أفراح في دياركم هذا الصيف

رضا صوايا

على مدى سنوات طويلة، تحوّلت حفلات الأعراس في لبنان إلى أشبه بمهرجانات لإبهار المدعوين، حتى ولو كبّدت «النعم الأبدية» العريسين مبالغ طائلة وحمّلتهما قروضاً يحتاجان إلى سنوات لسدادها.
«فرحة» العرسان لطالما شاركتهم فيها مئات الشركات وآلاف العاملين في مجال حفلات الزفاف وكل ما يتعلّق بهذا «القطاع» الذي قُدّرت مساهمته في الاقتصاد اللبناني بنحو مليار دولار سنوياً، وتعمل فيه نحو 600 شركة متخصصة وحوالى 40 ألف عامل بين ثابت

يقام في لبنان سنوياً نحو 40 ألف حفلة زفاف، متوسط كلفة الواحدة منها 25 ألف دولار

وموسمي. ووفق دراسة أعدها Chateau Rweiss، أحد أعرق مراكز الأعراس في لبنان، بالتعاون مع عدد من منظّمي حفلات الزفاف وبإشراف وزارة السياحة، وغطّت الفترة بين 2009 و2019، كان يقام في لبنان سنوياً نحو 40 ألف حفلة زفاف، متوسط كلفة الواحدة منها 25 ألف دولار.
الدراسة تطرقت إلى جنسيات العرسان الأجانب أو بلدان الاغتراب التي جاؤوا منها في حال كانوا لبنانيين وتأثير الأحداث السياسية والأمنية في لبنان والجوار على هذا القطاع. ولفتت الى أن 50% من العرسان إما لا يعيشون في لبنان، أو أن أحدهما لا يقيم فيه، أو أن أحدهما مغترب أو من جنسية غير لبنانية، أو أن كلا العروسين أجنبيان. وأشارت الى أنه خلال عام 2010، عقد كثير من السعوديين والسوريين والمغتربين اللبنانيين في أفريقيا حفلات زفافهم في لبنان. وفي عام 2012 خسر لبنان العرسان السوريين ليستقطب بدلاً منهم، إضافة إلى السعوديين، العراقيين والكويتيين والقطريين. وبين عامي 2017 و2018 خسر لبنان كل حفلات الزفاف التي كان يقيمها العرب فيه، فيما عاود السعوديون والأردنيون القدوم عام 2019، مع تراجع حفلات زفاف المغتربين في أفريقيا مقابل ارتفاع عدد الحفلات التي نظّمها مغتربون في أوستراليا.
الأزمة الاقتصادية القاسية والتراجع الحادّ المتوقع في أعداد الوافدين من الخارج، مغتربين وأجانب، بسبب فيروس «كورونا» يتوقع أن ينعكس خسائر فادحة على العاملين في هذا القطاع الذين يعتاش قسم كبير منهم من هذا الموسم. ومن أبرز المتضررين، إضافة إلى الفنادق والمطاعم والمجمّعات التي تقام فيها الحفلات، مزيّنو الشعر النسائي والعاملون في مجال الـ makeup، وشركات الزفة، وشركات تقديم الطعام catering، ومتاجر بيع الورود، والمطابع (وصلت كلفة بطاقة الدعوة الواحدة إلى 20 ألف ليرة)، ومتاجر الألبسة...
مها عطية، مديرة المبيعات والحفلات في فندق «فينيسيا»، أشارت الى أن «الأزمة الاقتصادية وفيروس كورونا وما رافقه من إغلاق للمطارات حول العالم تسبّبا في إلغاء كثير من حفلات الزفاف التي كان يفترض أن تنظّم في الفندق هذا الصيف». إذ يُقام في «فينيسيا»، عادة، نحو 100 عرس بين أول حزيران وأواخر أيلول من كل عام، «أما هذا الموسم، فلا يتخطى عدد الحجوزات حتى الآن الـ 30، أضف إلى ذلك أن تراجع عدد المدعوين من أكثر من 300 شخص في الحفلة إلى 100 شخص حداً أقصى، رغم أننا كفندق لا نزال نسعّر الدولار على أساس 1500 ليرة». عطية لفتت أيضاً إلى أن العرسان «باتوا يميلون إلى خفض التكاليف قدر الإمكان، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال اكتفاء كثيرين بما نقدّمه كفندق وتخلّيهم عن التعاقد مع منظّمي أعراس كما كان يحدث في معظم الحفلات التي استضفناها سابقاً».
عدد حفلات الزفاف خلال موسم الصيف في فندق «لو رويال» يراوح، في العادة، «بين 80 و100 حفلة. لكننا لا نتوقع أن يصل العدد هذا الموسم إلى أكثر من 30 حفلة» بحسب مدير الفندق سيريل معوض، مؤكداً «أننا نعمل كل يوم بيومه، ولا نعرف فعلياً عدد الحفلات التي قد تقام الشهر المقبل. فالجميع ينتظرون التطورات في ما يتعلق بكورونا، وكثير من العرسان باتوا يفضلون الانتظار الى قبل موعد الزفاف بفترة وجيزة ليقرروا إقامة الحفلة من عدمها». كذلك تراجعت أعداد «المعازيم» الى النصف، فـ«العرس الذي كان يُدعى إليه 200 شخص لم يعد يضم أكثر من 100 بسبب التباعد الاجتماعي والظروف الاقتصادية، فيما ينحو معظم العرسان نحو تنظيم حفلات عادية خالية من أي بذخ».
«25% فقط من الحفلات التي كانت تنظّم خلال الموسم في Chateau Rweiss لا تزال قائمة، فيما 50% من الحجوزات أرجئت، و25% الغيت بشكل كامل» بحسب مسؤولة العلاقات العامة ماريا بستاني. كما أن «معدل المعازيم في الحفلة تراجع من نحو 300 شخص إلى حوالى 50 فقط. أما الحفلات فاغلبها يخلو من أي مظاهر تبذير. وعلى سبيل المثال، زاد الطلب على الأجبان واللحوم المحلية بعدما كان يتركّز سابقاً على المستورد منها». الأمر نفسه ينطبق على منتجع Byblos Sur Mer الذي تراجع عدد حفلات الزفاف التي كان ينظّمها من 15 في الموسم إلى 5 فقط هذا الموسم، وكذلك أعداد الحضور من حوالى 300 شخص إلى 80.
في مطعم قصر الرومية في القليعات، الغيت كل حجوزات الأعراس لهذا الموسم، بعدما كان المطعم ينظّم حوالى 30 حفلة خلال فصل الصيف. أحد مسؤولي المطعم عزا الأمر أساساً الى الضائقة الاقتصادية، مشيراً إلى أن أحد العرسان «طلب منّا بعدما ألغى زفافه أن يأكل في المطعم بقيمة الرعبون الذي دفعه»!

ميزانية «المعازيم»!

بات كثير من العرسان يفضّلون تقليل عدد المدعوّين تجنّباً لإرهاقهم بتكاليف مرهقة. إذ إن حضور الحفل، كمدعوّ أيضاً، يتطلّب ميزانية خاصة، كانت تتضمّن (قبل تراجع سعر الليرة) 100 دولار مساهمة في الـ«ليست دو مارياج»، ونحو 200 دولار كلفة تصفيف الشعر والماكياج، وبين 200 و300 دولار ثمن الفستان والحذاء (للمدعوات)، فيما تبلغ كلفة ما كان ينفقه المدعوون الرجال بين 200 و 300 دولار ثمناً لبدلة وحذاء وكلفة تصفيف الشعر.

(مروان طحطح)

على الحافة

فلسفة «الكفاية» طريق الإنقاذ

حبيب معلوف

رغم جائحة «كورونا» واشتداد الأزمات الاقتصادية وأزمات تغيّر المناخ القاتلة، لا تزال «القضية البيئية» مستحيلة وغير شعبية، وذلك لأنّ مفاهيم مثل الفردية والليبرالية والتبادل الحرّ والرفاهية والتنمية والتقدّم... لا تزال مسيطرة.
«القضية البيئية» تعرّف الاقتصاد بعلم إدارة شؤون البيت (بيتنا المشترك) وموارد الطبيعة، وهي تدعو إلى حفظ هذه الموارد وديمومتها وحسن إدارة المتجدّدة وغير المتجدّدة منها. وهي تفهم الاقتصاد أيضاً بمعنى التوفير وحسن التدبير، وليس في زيادة الاستثمار والإنتاج والاستهلاك والرفاهية... إلخ.
بهذا المعنى، تتعثّر هذه الفلسفة لأنها تدعو إلـ«العودة إلى الوراء» وليس «التقدم إلى الأمام»، وكأنها تدعو إلى التخلّي عن مكتسبات الحضارة بشكل أو بآخر. إذ تدعو إلى التراجع عن الاستثمار والتنمية، طالما أن هذه الأخيرة تعني زيادة في الاستخراج والتصنيع والاستهلاك. لكن هل يعني التراجع عن «الزيادة» التراجع عن الطموح، وليس فقط وقف عجلة النمو، كما يذهب البعض. وهل يأتي يوم يصبح قتل الطموح مقدّمة ضرورية لإنقاذ الحياة. لا سيما حياة النوع الإنساني تحديداً؟ وهل تعني إعادة الاعتبار لفلسفة الكفاية التوقف عن الطموح وقتل كلّ إمكانيات التقدم؟ وماذا لو أصبحت نهاية فكر التقدم لا تعني إلّا الوصول إلى الهاوية؟ وعندما يصل الإنسان أثناء تقدّمه إلى الهاوية، ألا تصبح العودة إلى الوراء طموحاً مشروعاً؟ بالتأكيد، ليست الأمور بهذه الفجاجة. إلّا أنّ فكرة التواضع لا تخلو من معنى كونها قيمة منقذة في مثل هذه الحالات الوجودية.
بيّنت الأزمة الأخيرة، التي نجم عنها نوع قسري من الحجر المنزلي، أن من استدان من أجل الاستثمار ربح وهماً، ومن ادّخر من أجل التوفير خسر. كما بيّنت، أيضاً، أن توقف عجلة النظام الاقتصادي المسيطر تعني توقف كلّ شيء والدخول في أزمات أعمق! وفي كل الحالات، كان من الملاحظ أن التركيز على النوعية، يظلّ أفضل بما لا يُقاس من التركيز على الكمية، إذا أردنا الإبقاء على نظام الملكية كعنصر مركزي لناحية الاقتناء والاكتفاء.
تدعو الفلسفة البيئية الاقتصادية إلى إعادة تسعير السلع والمنتجات بحسب قيمتها الحقيقية بعكس المطالب الشعبية التقليدية التي تدعو إلى خفض الأسعار. يعني ذلك أن يؤخذ في الاعتبار، أثناء التسعير، دورة حياة كلّ منتج من المهد إلى اللحد؛ أي ما الذي يحتاج له هذا المنتج من مواد أولية أثناء الاستخراج وما إذا كانت هذه المواد ناضبة أم لا. وأثر استخراجها على مواد وكائنات أخرى، وكلفة التصنيع وطرقها وحجم الطاقة والمياه التي تتطلبها واليد العاملة التي احتاجت لها عملية التصنيع وأثر هذه الصناعة على صحة العمال وعلى المحيط البيئي، وكيفية التسويق ومدى دقة المعلومات حولها أثناء الترويج وكيفية الاستخدام والاستهلاك وعمر المنتج الافتراضي وجودته وكيفية التخلّص منه وكلفته بعد نهاية عمر السلعة وتحولها إلى نفايات أو مخلفات... إلخ.
انطلاقاً من ذلك، لن يعود السوق هو فقط من يحدّد السعر، بل كل ما ذكرنا، على أن يُعبّر عنه بشفافية على الملصق الموجود بوضوح على كل سلعة، تحت رقابة الوزارات المعنيّة بدورة حياة المنتج. صحيح أن هذه المنهجية ترفع قليلاً أسعار بعض السلع، إلّا أنّها ترفع من جودتها وعمرها الافتراضي أيضاً، وفق المعادلة التي تقول: من الأفضل مضاعفة سعر السلعة مرتين إطالة عمرها خمسة أضعاف. بمعنى أوضح، فإنّ شراء حذاء بـ20 دولاراً تلبسه لسنة واحدة ليس أفضل من شراء حذاء بـ40 دولاراً تلبسه خمس سنوات، على أن تتأمّن من ضمن هذا السعر المضاف كلّ الشروط التي تحافظ على ديمومة الموارد وحقوق العمال والمستهلكين، مع المتانة وحماية الصحة والتخلّص الآمن بعد الاستهلاك.
هذه المنهجية تعرقل فعلاً النظام الحالي المسيطر القائم على زيادة الإنتاج والاستهلاك والربح السريع من دون ضوابط، والمستنزف للموارد، والملوث للطبيعة، والذي يزيد من نسب الفقر بدل أن يحدّ منها. وهو نظام حاول أن يؤبّد نفسه حين أحكم السيطرة على سوق العمل ومراكز البحث العلمي والمؤسسات الأكاديمية والإعلام وسوق الإعلانات... وعلى ما يسمى الحسّ العام الذي تخلقه وسائل الإعلام والإعلان، ويلعب على الحاجات ويكثر من وعود الرفاهية والرخاء وزرع الأوهام. من هنا تأتي صعوبة - لا بل استحالة - تبنّي الأفكار المضادة أو تطبيقها. وهذا ما يفسّر فشل الحكومات والبرلمانات في خرق قواعد السوق التي التزم بها كلّ من الشرق والغرب على أوسع نطاق. وإذ تُعتبر المنافسة من أهم قواعد السوق والمتسبّبة بتفاقم كلّ الأزمات التي نعرفها الآن وتلك التي لم نعرفها بعد، لا نرى خلاصاً في المدى المنظور لمعالجة قضايا كبرى، تحتاج إلى التعاون بدل المنافسة. هذه هي المعضلة الحقيقية اليوم لعالمنا على المستوى الدولي والوطني. ولا للحديث عن التوجّه نحو الشرق أو الغرب في منطقتنا اليوم إذا بقينا ضمن أطر المنافسة ذاتها. فالشرق وفلسفاته القديمة انهزم منذ حرب الأفيون، وتبنّى بعد ذلك الفلسفات الغربية وبدأ ينافسها، تماماً كما تنافس الصين اليوم في الأسواق العالمية بعد دخولها منظّمة التجارة العالمية.
لذلك قد لا ينفع بلداً مثل لبنان أن يكون في أيّ من محاور الشرق أو الغرب. كما قد لا تنفعه تلك الفكرة البهلوانية التي لا تخلو من التذاكي المفضوح والقائلة بـ«الحياد» للاستفادة من الكل. لا يُنقذ لبنان إلا فلسفة كيان جديدة، تقوم على مبادئ الفلسفة البيئية التواضعة، وعلى فلسفة الكفاية، وتتبنّى نموذجاً اقتصادياً شبيهاً بما عرفه جبل لبنان في خضم الصراعات القديمة وتحولات الدول، عندما تبنّى مقولة «فلاح مكفي سلطان مخفي»... هذا إذا كانت مقدراته الطبيعية لا تزال ممكنة.

تحقيق

إقبال «عشوائيّ» على العودة إلى الحقول جنوباً: ليس بالحماسة وحدها تزرَع الأرض

داني الأمين

مقابل مستعمرة المطلّة الملاصقة لسهل الخيام الشاسع، «يبسّط» أحمد عيسى بمزروعاته من الخُضر. في الحقول الكثيرة خلفه، ينتشر عشرات المزارعين بما يوحي وكأن سهل الخيام، وهو الداخلي الوحيد في جنوب لبنان، عاد إلى سيرته الأولى، عندما كان، حتى نهاية سبعينيات القرن الماضي، مورد رزق معظم أبناء المنطقة، قبل أن يهجّرهم الاحتلال إثر مجزرة في البلدة ذهب ضحيتها أكثر من 50 شهيداً.
مع بدء انتشار فيروس «كورونا» واشتداد الأزمة المالية واستشعار خطر الحصار الاقتصادي، عاد كثيرون إلى حقولهم، وشجّعتهم على ذلك مبادرات أهلية وبلدية بتوزيع الشتول لزراعة الأراضي المهملة. لكن الزراعة أكثر من مجرد «دش شتلة في التراب»، بحسب المزارع الستيني حسين عواضة. فـ«أراضينا تُزرع اليوم بشكل عشوائي، وتخضع لتجارب المزارعين، فيما دعم الدولة والإرشاد الزراعي غائبان»، وخصوصاً في ما يتعلق بتأمين مياه الري للأراضي البعيدة عن نبع الدردارة، ناهيك بزحف الأبنية السكنية على السهل بشكل مخالف للقانون، وانتشار التلوّث في السهل نتيجة تعطّل معمل تكرير مياه الصرف الصحي القريب من مدينة مرجعيون. الحفر العشوائي للآبار الارتوازية أدى إلى جفاف ينابيع كان المزارعون يعتمدون عليها بشكل كبير لريّ الأراضي الزراعية في السهل الذي تصل مساحته إلى نحو 28 مليون متر مربع. وقد عملت بلدية الخيام على مدّ الأنابيب لريّ نحو نصف أراضي السهل من نبع الدردارة، فيما يبقى النصف الآخر من دون ريّ.
في بلدة حولا (مرجعيون)، يشكو المزارع حسن أيوب من عدم القدرة على ري بعض مزروعاته بسبب الانقطاع المستمر للمياه، لافتاً إلى أن «70% من أبناء البلدة عادوا إلى الزراعة. لكن الأمر يحتاج إلى مواكبة. الحماسة زادت بعد الخطاب الأخير للسيد حسن نصرالله، لكن أول عمل يجب القيام به لدعم الزراعة والمزارعين هو معالجة سوء توزيع المياه على البلدات». لذلك بقيت زراعة التبغ والقمح أكثر فائدة لصغار المزارعين، لعدم حاجتها إلى المياه، وتأمين تصريف الإنتاج بالنسبة إلى التبغ، وإمكانية صمود إنتاج القمح لسنوات قبل تصريفه. أضف إلى ذلك أن «المزارعين الصغار لا يستفيدون من خدمات الجمعيات والمنظمات الدولية، بل أصحاب التعاونيات الزراعية المرخّصة، رغم أن أغلبها مسجّل باسماء وهمية لخدمة بعض المنتفعين الذين يحصلون على المبيدات والأسمدة والآليات الزراعية المختلفة، والتي يتم بيع بعضها في السوق السوداء»، بحسب المزارع أحمد كريم.
شحّ المياه وسوء توزيعها يستوجبان، بحسب الخبير الزراعي طارق ياسين، «إعادة حفر البرك الزراعية التي رُدم معظمها في السنوات الماضية، والتركيز على الزراعات الشتوية والبعلية». فيما يشدّد رئيس مركز الإرشاد الزراعي في بلدة الخيام فؤاد ونسة على «ضرورة إعادة تشغيل المختبر الزراعي المركزي في البلدة، والذي جُهّز منذ نحو 10 سنوات بأحدث أجهزة فحص التربة والمنتجات الزراعية والحيوانية، ولا سيما زيت الزيتون والعسل»، لافتاً إلى أن إعادة تشغيل المختبر «لا تتطلب سوى تأمين المواد الأساسية الموجودة أصلاً في وزارة الزراعة. وهذا أمر أساسي لمواجهة الأمراض التي تتعرض لها المزروعات، بسبب نقص الأسمدة الطبيعية الموجودة في الأراضي الزراعية، إضافة إلى التلوّث».

> مزروعات كثيرة أصيبت بالجفاف وبأمراض مختلفة نتيجة شحّ المياه وعدم الخبرة في اختيار أنواع الشتول

في منطقة سردة، الملاصقة لنهر الوزّاني، انتشرت في الأعوام الثلاثة الماضية زراعة الموز (نحو 6000 دونم) والعنب (5000 دونم) والخضار والحبوب، على أبدي الأهالي ومزارعين كبار، ما ساهم في تأمين عشرات فرص العمل. لكن، بحسب ونسة، «تحتاج هذه المنطقة إلى تأمين مرصد متخصّص للطقس لتوجيه المزارعين إلى أوقات العمليات المطلوبة من تشحيل وتسميد وغيرهما، بما يحدّ من انتشار الأمراض الزراعية». كما أن تسويق المنتجات يحتاج إلى «سوق خُضر مركزي في المنطقة، وإلى برّادات زراعية ضخمة».
حملة «بيادرنا تقاوم» التي أطلقتها بلدية عيناثا (بنت جبيل)، نهاية العام الفائت، أدت إلى زراعة نحو 100 دونم من الحبوب، بخاصة القمح، الذي ستعمد البلدية إلى توزيعه على المحتاجين من أبناء البلدة»، بحسب الناشط الزراعي في البلدية حسن نصرالله. والأمر نفسه لجأت إليه عدة بلديات أخرى من بينها بلدية شقرا ودوبيه التي التزمت بحراثة أراضي المزارعين وزراعتها بالحبوب. إلا أن الإقبال اللافت على الزراعة كان «عشوائياً وغير مدروس»، وفق رئيس بلدية عيترون المهندس الزراعي سليم مراد. «فمزروعات كثيرة أصيبت بالجفاف وبأمراض مختلفة نتيجة عدم الخبرة في اختيار أنواع الشتول والحبوب، إضافة إلى شح مياه الريّ». هذا يتطلّب «ضرورة ترشيد المزارعين وتأمين البذور المناسبة للتربة ومكافحة التلوث وتسميد التربة التي أصبحت فقيرة بالمواد العضوية نتيجة عدم وجود الرعي والسماد الطبيعي»، كما يحتاج إلى «إنشاء معامل خاصة بالسماد العضوي الذي يمكن تأمينه من جفت الزيتون والخروب وغيرهما من المزروعات المنتشرة في مناطقنا، إضافة إلى تفعيل معمل سلعاتا المتخصّص بصناعة الأسمدة الفوسفاتية، والتوجه إلى الصين وغيرها لشراء الأدوية والأسمدة الزراعية بأسعار منخفضة، لأن كلفة هذه الأسمدة في لبنان تزيد على 120 مليون دولار سنوياً».

تبعاً للمقال الصادر في جريدة المدن الإلكترونية والمعنون مؤامرة التجار والسلطة والمرتبط بزراعة البطاطا، وبعد إدراج اسم السيد أنطوان بخعازي صاحب شركة Salia S.A.L كمحتكر وممانع لإنتاج بذور البطاطا، يهمنا التوضيح ان شركة Salia S.A.L والسيد أنطوان بخعازي هم أكّد الحريصين على تفعيل القطاع الزراعي في لبنان وتشجيع المزارعين وحماية الإنتاج الزراعي،
وان ما ورد في مقال جريدة المدن والمذكور أعلاه ليس إلّا تشويهاً لحقائق ثابتة وتهجماً وافتراءً مما يعرض الجريدة أو أي موقع إخباري يتناول هذا الخبر لمساءلة قانونية امام المراجع القضائية المختصة، ولذلك اقتضى التوضيح.

الوكيل القانوني لشركة Salia S.A.L
المحامي كابي عادل جرمانوس

الكرة الأوروبية

فترة التوقف تكشف العيوب... أندية ثابتة وأخرى تترنّح!

إعداد
حسين فحص

عرف العديد من الأندية الأوروبية تغييرات كبيرة على صعيد الأداء والنتائج بعد استئناف منافسات كرة القدم، حيث استفاد البعض من فترة التوقف القسري في حين سقط آخرون في دوامة من النتائج السلبية. نتائج متفاوتة جاءت على خلفيّة افاضيّة التحضير الذهني والبدني للبعض، إضافة إلى استفادة بعض الفرق من عودة اللاعبين المصابين، وهو ما ادى إلى إعادة جدولة المراكز خاصة في المقدمة

عاد ميلان اقوى بعد كورونا (أ ف ب)

انتهت القمة التي جمعت بوفنتوس الإيطالي مع نظيره «إي سي ميلان» بفوز مثير لهذا الأخير بعد أن حوّل تأخره بهدفين في الشوط الثاني إلى انتصار باربعة، وذلك ضمن منافسات الجولة 31 من الكالشيو. نتيجةً تظهر مدى تطوّر ميلان بعد فترة التوقف القسرية بفعل التحفيز النفسي وحسن التوظيف، وهو ما ضاعف حظوظه في المشاركة الأوروبية، اقله من بوابة الدوري الأوروبي.

فترةٌ ذهبية يعيشها «الروسونيري»، شهدت على تحقيقه 4 انتصارات في 5 مباريات خاضها الفريق بعد عودة الحياة إلى الكرة الإيطالية. لم يكن يوفنتوس الضحيّة الوحيدة لميلان من فرق المقدمة، إذ سبقه إلى ذلك كلٌ من الوصيف لاتسيو (3-0) وروما (2-0). هكذا، صعد ميلان في سلم الترتيب، مستفيداً من التوظيف الملائم في التشكيلة برفقة المدرب بيولي. تحسّن ميلان قبل فترة الحجر مع قدوم بيولي، وقد زادت نتائجه الإيجابية بعد استقدام المهاجم السويدي زلاتان إبراهيموفيتش. بعد استئناف النشاط الكروي، كان للثبات على تشكيلة (1/3/2/4) الدور الأبرز في عودة الفريق إلى الواجهة، خاصةً إثر توظيف اللاعبين في الأماكن المناسبة. صلابةٌ دفاعية جاءت بفعل الثنائي كبير وروماتيولي، زادها متانةً كونتي بعد عودته من الإصابة. في الوسط، برز التوازن بين تأمين الخط الخلفي وتقديم الإضافة الهجومية إثر إشراك كيسيه وبن ناصر سوياً. أما العلامة الفارقة في قوة الفريق، تمثّلت بإعادة هاكان تشالهانوغلو إلى مركز صانع الألعاب، مع إعطاء الحرية للكرواتي أنته ريبيتش في شغل المراكز الهجومية كافة، مساعداً بذلك إيبرا في خط المقدمة.

ريال مدريد

يعيش النادي الملكي هذه الأيام أفضل فتراته. رفاق القائد سيرخيو راموس يتصدرون ترتيب الليغا الإسبانية، ويقدمون أداء مقنعاً، وهو ما يضع ضغطاً كبيراً على برشلونة المربّك. بعدَ راموس أحد أبرز لاعبي الفريق هذا الموسم، وهو يساهم بشكل رئيسي في حسم نقاط المباريات، خاصة في الفترة الأخيرة. يعكس ذلك الأهداف الحاسمة التي سجلها، إضافةً إلى محافظة الفريق على نظافة الشباك في آخر 4 مباريات. بعيداً عن راموس، يقدم الفريق أداءً متوازناً في الخطوط كافة. استفاد الريال من عودة بعض اللاعبين من الإصابة مثل ماركو أسينسيو وإيدين هازار، غير أن السبب الأبرز وراء التحسّن يعود للجانب المعنوي الذي خلقه مدرب الفريق زيدان بين لاعبيه. الجميع يقاتل للتتويج بالليغا، ويبدو الميرينغي المرشح الأبرز لذلك في ظل تخبط غريمه التقليدي برشلونة.

دورتموند

شكّل بروسيا دورتموند المنافس الأبرز لبايرن ميونخ هذا الموسم على لقب البوندسليغا، غير أن ذلك تغير بعد فترة الاستئناف. بدأ الأمر بخسارة مباراة القمة على أرضه أمام بايرن ميونخ، ليمنى الفريق بعدها بتعثرات متتالية آخرها الخسارة الفاضحة على أرضه أمام هوفنهايم (4-0). رغم تحسّن المنظومة مع المدرب السويسري لوسيان فافر خاصة بعد استقدامه المهاجم النرويجي إيرلينغ هالاند، تراجع دورتموند شيئاً فشيئاً في ظل سوء التجهيز الفني والبدني، وقد أظهرت النتائج الأخيرة حاجة الفريق لبعض التعاقدات الصيفية خاصة على الصعيد الدفاعي.

برشلونة

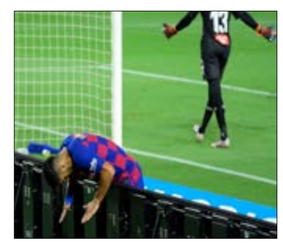

وصل برشلونة إلى فوزه الرابع بعد استئناف منافسات كرة القدم بفوزه الأخير على اسبانيول (1-0)، مقابل تحقيقه ثلاثة تعادلات. نتائج متخبّطة وضعت النادي الكتالوني تحت نيران الصحافة الإسبانية، كما أبعدت ريال مدريد أكثر في الصدارة. يظهر جلياً سوء التجهيز الذهني للاعبي برشلونة بعد فترة التوقف القسرية، وهو ما انتقده الإعلامي الإسباني خوان كروز في صحيفة آس، حيث أشار إلى فقدان رجال المدرب كيكي سيتين الحماس والندية. سبق أن تمّت إقالة المدرب الأسبق فالفيردي مع بداية الموسم وتم استبداله بكيكي سيتين للحؤول دون تفاقم الأضرار. رغم تحسّن الفريق مع هذا الأخير، تخبط برشلونة خاصة في مبارياته الأخيرة ليفشل المدرب الجديد في تقديم أوراق اعتماده تحت ضغط المنافسة. برشلونة بحاجة إلى تعديلات كبيرة خلال الصيف، قد تطال سيتين حتى، وسط غضب جمهور النادي الكتالوني على الأداء والنتائج.

مانشستر يونايتد

يقدم «الشياطين الحمر» أداء رائعاً منذ عودة الفريق من فترة التوقف القسري، فارضاً نفسه منافساً مباشراً على المقاعد المؤهلة لدوري أبطال أوروبا. سقط الفريق في العديد من الاختبارات على امتداد الموسم وشهدت نتائجه تقلبات متتالية إلى أن جاء البرتغالي برونو فيرناندييز الذي جلب التوازن المطلوب لمنظومة المدرب أولي غونار سولشاير. هذا الأخير استفاد من فترة التوقف للاستقرار على تشكيلة ثابتة، خاصة في الشق الهجومي، فقدّم منظومة متكاملة على صعيد الأداء والنتائج. أعطت عودة المهاجم الإنكليزي ماركوس راشفورد ومتوسط الميدان الفرنسي بول بوغبا من الإصابة إضافة كبيرة للفريق، ما ساهم في زيادة الفاعلية الهجومية. انتصارات بالجملة جعلت مانشستر يونايتد يمتلك الحظ الأبرز للالتحاق بركب المتأهلين إلى دوري الأبطال، كما أزالت الضغط الإعلامي عن المدرب سولشاير الذي سيلقى، بحسب الصحف الإنكليزية، دعماً كاملاً من الإدارة لتدعيم الفريق في الموسم المقبل.

لاتسيو

يعد لاتسيو أحد أبرز مفاجآت الدوري الإيطالي هذا الموسم، إثر احتلاله المركز الثاني على حساب أندية أخرى كانت مرشّحة مثل إنتر ميلانو وأتالانتا. بنى سيموني إنزاغي فريقاً من لا شيء، وجعله بين أفضل الفرق الإيطالية، حيث كان الفارق بينه وبين المتصدر يوفنتوس نقطة واحدة فقط قبل فترة التوقف القسري. أداء ممتاز وعقلية تنافسية دفعت رئيس النادي كلاوديو لوتيتو للاعتراض على إلغاء الموسم حينها، في ظل الضبابية السائدة آنذاك إثر تداعيات فيروس كورونا. رأى الرئيس في استئناف الدوري فرصة ذهبية لتتويج لاتسيو باللقب، خاصة أن الفارق كان نقطة واحدة مع يوفنتوس، وأن لاتسيو قد فاز على البانكونيري في الدوري وتوج على حسابه في كأس السوبر الإيطالي. بعد استئناف الدوري، سقط لاتسيو. خسائر متتالية وانتصارات باهتة أبعدت «النسور» عن الصدارة بـ7 نقاط كاملة، وذلك بسبب تراجع العقلية وسوء التحضير النفسي والبدني، خاصة مع ثبات المدرب إنزاغي على أسماء محددة، ما زاد الجهد في ظل لعب مباريات متتالية في فترة قصيرة.

البطولات الأوروبية

مواجهات نارية في دوري الأبطال ومتوازنة في «البطولة الرديفة»

سُحبت ظهر أمس، في مقر الاتحاد القاري بمدينة نيون السويسرية، قرعة ربع نهائي دوري أبطال أوروبا بصيغتها المصغرة. وأسفرت القرعة عن مواجهة الفائز بين ريال مدريد الاسباني حامل الرقم القياسي بعدد مرات إحراز اللقب ومانشستر سيتي الانكليزي (2-1 لسيتي ذهاباً في مدريد) مع الفائز بين يوفنتوس بطل إيطاليا وليون الفرنسي (1-صفر ذهاباً لليون في فرنسا).

كما وقع باريس سان جيرمان الفرنسي، الحالم بمنح فرنسا لقباً ثانياً بعد مرسيليا في 1993، مع اتالانتا مفاجأة الدوري الايطالي هذا الموسم، والذي بلغ دور الثمانية للمرة الاولى في تاريخه. اما المباراة الرابعة، فستجمع لايبزك الالماني، إحدى مفاجآت الموسم أيضاً مع أتلتيكو مدريد الاسباني الذي أقصى ليفربول الانكليزي حامل اللقب من ثمن النهائي، والطامح إلى وضع حد لـ«نحس» خسارته المباريات النهائية (1974 و2014 و2016).

ويبدو مشوار سان جرمان ممهّداً نحو نهائي أول في تاريخه؛ ففي حال تخطّيه رجال المدرب جان بييرو غاسبيريني، سيواجه الفريق الباريسي في نصف النهائي الفائز بين أتلتيكو ولايبزك. وسيكون نصف النهائي الآخر بمثابة نهائي مبكر، فيلتقي الفائز بين برشلونة وبايرن «سيتي. ريال» والليون. يوفنتوس».

وقرر «ويفا» إقامة مباريات الدورين ربع النهائي ونصف النهائي والمباراة النهائية على الملعبين الخاصين بناديي بنفيكا «استاديو دا لوش» وسبورتينغ «استاديو جوزيه ألفالادي» في البرتغال. وستقام مباريات الإياب المتبقية من الدور ثمن النهائي في ملاعب الأندية الخاصة بها وليس في ملاعب محايدة في البرتغال.

ويستكمل دور الـ16 في السابع والثامن من آب/أغسطس، على أن يقام الدور ربع النهائي بين 12 و15 منه، ونصف النهائي في 18 و19 منه، والمباراة النهائية في 23 منه.

قرعة يوروبالیغ

وعلى الضفة الأوروبية الثانية، أي «يوروبالیغ»، فقد أسفرت القرعة عن مواجهات متوازنة. ففي ربع النهائي يلتقي المتأهل من ثمن النهائي بين فولفسبورغ الألماني وشاختار الأوكراني مع الفائز من آينتراخت فرانكفورت الألماني أو بازل السويسري. وفي المباراة الثانية يتواجه الفائز من مواجهة ثمن النهائي بين لاسك النمساوي ومانشستر يونايتد الإنكليزي مع المتأهل من ثمن النهائي بين باشاكشهير التركي أو كوبنهاغن الدنماركي.

أما في اللقاء الثالث، فيلتقي الفائز من مواجهة إنتر ميلانو الإيطالي وخيتافي الإسباني، اللذين لم يخوضا جولة الذهاب في ثمن النهائي، وسيلعبان مباراة واحدة فقط، مع الفائز من بايرليفركوزن الألماني وريد بنجرز الاسكتلندي.

وفي اللقاء الرابع والأخير، يلتقي المتأهل من مواجهة ثمن النهائي بين أولمبياكوس اليوناني وولفرهامبتون الإنكليزي مع المتأهل من لقاء إشبيلية الإسباني وروما الإيطالي، وهما أيضاً لم يخوضا جولة الذهاب في ثمن النهائي، وسيلعبان مباراة واحدة فقط.

(الأخبار)

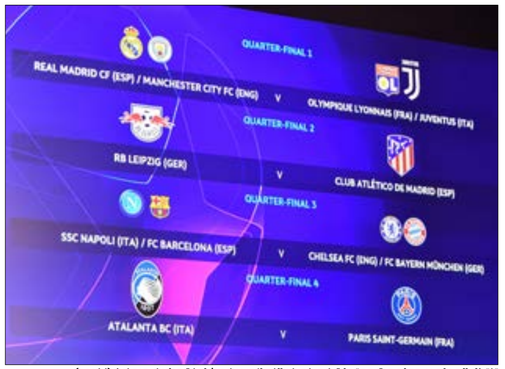

تنتظر الجماهير مواجهة محتملة في نصف النهائي بين برشلونة وبايرن ميونيخ (أ ف ب)

بريميرليغ

هجوم عنيف على «حكم الفيديو» في إنكلترا

أقرّت رابطة الدوري الانكليزي لكرة القدم بحدوث أخطاء في قرارات تقنية مساعدة التحكيم بالفيديو «في آيه آر» في ثلاث مباريات، في ظل تصاعد مستوى الإحباط من استخدام هذه التكنولوجيا في «البريميرليغ».

وحصل مانشستر يونايتد على ركلة جزاء خلال فوزه على استون فيلا (3-صفر) سجل منها البرتغالي برونو فرناندیش الهدف الافتتاحي. في تلك اللقطة اخترق لاعب وسط سبورتينغ السابق منطقة الجزاء قبل ارتطامه بالمدافع إزري كونسا، في عرقلة غير واضحة. وقال دين سميث، مدرب استون فيلا، «يمكنني تفهّم خطأ جون موس، (حكم المباراة)، لكن لا أعرف الى ماذا كان ينظر حكم الفيديو. لديهم شاشة ويمكنهم النظر اليها، لكنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء ذلك. لعبة فرناندیش الأولى كانت على الكرة والثانية على قصبة إزري كونسا».

وصبّ البرتغالي جوزيه مورينيو، مدرب توتنهام، غضبه على الحكام، لعدم احتساب ركلة جزاء لمهاجمه الدولي هاري كاين مطلع المباراة التي حقق فيها تعادلاً مخيّباً مع بورنموث. وقال مدرب مانشستر يونايتد وتشلسي السابق «الجميع في العالم يعرف أنها كانت ركلة جزاء. الجميع، وأعني الجميع. اللاعبون يشعرون بالقرارات، كما نحن نشعر بها على مقاعد البدلاء. تعرفون متى كانت اللحظة الأهم في المباراة، ولا أريد قول المزيد، لأن الجميع يعرف».

وسدّد جايمس وارد-براوس ركلة جزاء «مثيرة للجدل» لساوثهامبتون في عارضة ايفرتون قبل تعادلهما (1-1). وقال مدرب ايفرتون الإيطالي كارلو انشيلوتي «أداء الحكم كان مثل فريقي، ليس جيداً بما يكفي». وأكدت رابطة الدوري لشبكة «بي بي سي» أن يونايتد وساوثهامبتون لم يستحقا ركلة الجزاء، فيما كان يجب منح كاين ركلة لعرقلته من قبل النروجي جوشوا كينغ.

واقترح الاسترالي الدولي السابق تيم كاهيل الذي يعمل محللاً تلفزيونياً، أن يكون لاعب سابق الى جانب

> **صبّ البرتغالي جوزيه مورينيو مدرب توتنهام غضبه على الحكام**

حكام الفيديو «أعتقد أن هذا الأمر سيساعدهم، لفهم التحركات. عندما يرتمي لاعب لشراء ركلة جزاء، يمكنك الشعور بالأمر. يتعين وجود لاعب لتقديم النصح بشأن حركة اللاعب».

ومن جهته، دعا مدرب تشلسي فرانك لامبارد، الأسبوع الماضي، الى «تفكير كبير» في مسألة حكم الفيديو في نهاية الموسم، وذلك بعد سلسلة من الحالات الجدلية.

حصد الكثير من الأخطاء التحكيمية خلال الأسبوع الأخير (أ ف ب)

كالشيو

يوفنتوس أمام الاختبار الأصعب

سيكون يوفنتوس حامل اللقب والمتصدر أمام الاختبار الأصعب على الإطلاق في المراحل الأخيرة من الموسم، وذلك حين يستضيف أتالانتا اليوم السبت في المرحلة الثانية والثلاثين من الدوري الإيطالي لكرة القدم. (22:45 بتوقيت بيروت)

وبعد ثلاث مباريات هجومية رائعة ضد ليتشي (4-صفر) وجنوى (3-1) وجاره تورينو (4-1)، تعثر فريق المدرب ماوريتسيو ساري الثلاثاء الماضي أمام مضيفه ميلان (4 . 2). وتأتي هذه الخسارة في مرحلة حاسمة من الموسم، لا سيما أن يوفنتوس مدعوّ لمواجهات صعبة في الأمتار الأخيرة، أوّلها اليوم ضد أتالانتا الذي يُعتبر صاحب أفضل عروض في الدوري هذا الموسم، ثم لاتسيو في المرحلة الرابعة والثلاثين وجار الأخير روما في المرحلة الختامية.

وقد يصل يوفنتوس إلى المرحلة الختامية حاسماً للقبه التاسع توالياً في حال «حافظنا على رباطة جاشنا» بحسب ما ناشد مدربه ساري بعد الخسارة الموجعة أمام ميلان، مضيفاً «قدمنا ستين دقيقة جيدة: كنا مسيطرين على المباراة، ثم أغمي علينا (مجازياً) لسبب لا أريد الخوض فيه لأنه بانتظارنا مباراة أخرى بعد أيام معدودة».

ورأى ساري أن ما حصل مع فريقه حصل أيضاً مع فرق أخرى، لا سيما لاتسيو الذي خسر مبارتيه الأخيرتين، وثلاث من أصل خمس خاضها منذ استئناف الدوري في أيار/ مايو بعد توقف لقرابة ثلاثة أشهر بسبب فيروس كورونا المستجد، موضحاً «لقد حصل ذلك مع فرق أخرى لأنها فترة صعبة بالنسبة إلى الجميع، جسدياً وذهنياً». وشدّد على أنه «يجب المحافظة على رباطة جاشنا». وهو الأمر الذي يحتاج له حقاً رونالدو ورفاقه في مباراة اليوم أمام أتالانتا الذي يدخل اللقاء على خلفية سلسلة تاريخية من الانتصارات المتتالية بلغت تسعة بعد فوزه الأربعاء على سمبدوريا (2-صفر)، وعدد الأهداف المسجلة في موسم واحد (85).

كما بات فريق المدرب جان بييرو غاسبيريني ثالث فريق فقط في البطولات الأوروبية الخمس الكبرى يفوز بجميع مبارياته بعد العودة من التوقف، إلى جانب بايرن ميونيخ الألماني (9 من 9) وريال مدريد الإسباني (7 من 7).

> **بات أتالانتا ثالث فريق في البطولات الكبرى يفوز بجميع مبارياته بعد العودة**

بات يوفنتوس قريباً من اللقب (أ ف ب)

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للتفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل ـ 01 /666314 ـ 15، 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

حول إدارة التفاوض في حرب تموز

طراد حمادة *

يشبه مجلس الوزراء المائدة. الأطباق عليها هي الموضوعات المثبّتة في جدول الأعمال المتّفق عليه بين رئيس الحكومة ورئيس الجمهورية، وعادة، ما تكون مختارات من اقتراحات ومراسلات الوزراء. لكلّ مائدة مطبخ يعدّ أطباقها، وعليه فإنّ القوى السياسية، داخل البرلمان وخارجه، تشكّل مطبخ مائدة الحكومة. تعدّ المواقف من الموضوعات، ولكن القرارات تصدر بصيغتها الرسمية عن مجلس الوزراء. وفي أكثر المرّات، لا تجيء الأطباق إلى مائدة مجلس الوزراء جاهزة. وتتعدّد على عدد مطابخها وأذواق أصحابها. وحتى لو مدّت على المائدة قد لا تمتدّ إليها أيادي المدعوين.

نستعير معنى المائدة من أفلاطون لشرح المراد وتبسيط المعنى عليه لا يشارك في حوار المائدة إلا الجالسون عليها، لكن يمكن لكلّ منهم أن يحمل أفكاراً، ويكون ناطقاً. وحتى لو كان ناقلاً وحاملاً للأفكار وناطقاً باسم صنّاع القرار، فإنه يكون صاحب الإفصاح والمذاق.

إنّ المشاركة إلى المائدة تجعل من صاحبها صانعاً وليس حاملاً أو ناقلاً أو ناطقاً. وعليه، يلزم أن يحيط في الموضوعات من كل جانب إحاطة المكان بالشيء، وتلك واحدة من صفات الوزير وصلاحياته الدستورية، وتعطي هذه الصلاحيات صفات مضافة في زمن الحرب، حيث أنّ مجلس الوزراء مجتمعاً هو القائد الأعلى للقوات المسلّحة.

إلى جانب الجلسات الرسمية لمجلس الوزراء، تُعقد مجالس وزارية، تجمع وزراء يشاركون في مناقشة موضوعات مشتركة، يتفقون حولها، حتى يصار إلى إقرارها في الجلسات الرسمية للحكومة، ويضاف إلى المجالس الوزارية اللقاءات مع الضيوف من السياسيين والدبلوماسيين، وكذلك لقاءات التشاور، خاصة بين الوزير ورئيس الحكومة، في أمور تتطلّب التوافق، وتكون من وظائف الوزارة المعنية، أو موضوعات سياسية تبحث عن توافق حولها. تزداد أهمية المجالس الوزارية في زمن الحرب، لاعتبارات عدّة منها: أنّ زمن الحرب يتّصف بسرعة الحركة، وعليه تكون الأحداث متسارعة الوضوح.

وفي زمن الحرب يلزم الحوار الدائم، لأنّ كلّ لحظة ربما تستلزم موقفاً أو قراراً، وعليه، لا يعود للحكومة أن تعمل وفق برنامجها الاعتيادي في جلسات محدّدة في الزمان والمكان، ولا تكون الموضوعات جاهزة وفق سرعة حركة الإدارة، إن الإدارة في الحرب تختلف عن الإدارة في الزمن العادي. وعليه كانت الحكومة أعلنت حالة الجلسات المفتوحة.

كلّ يوم يكون فيه مجلس وزراي أو لقاء سياسي، أو حركة دبلوماسية، أو مفاوضات ومشاورات، ومباحثات، وتكون منها في السرّ كما في العلن. لكنّ ما يحصل في السرّ يتصل باشتغال المطبخ، وحين يكون على المائدة يكشف للعلن.

وعليه، فإنّ المفاوضات السياسية والدبلوماسية التي كانت تحصل في السرّ بين القيادات السياسية للبلاد، كانت تعدّ لمائدة مجلس الوزراء موضوعاته ليتّخذ فيها قراراته. وعليه، كنت أحضر المجالس الوزارية واللقاءات السياسية كافة لعدّة أسباب، إضافة إلى أهميتها التي شرحت، فإنني أريد أن أكون متابعاً لكلّ ما يتعلّق بمسؤوليتي كوزير للمقاومة في زمن الحرب، ولأنّ أخي معالي الوزير محمد فنيش ما كان يحضر هذه المجالس واللقاءات، لذلك كنت حريصاً على الحضور، حتى لا يغيب عنّا مهمّا يحصل شاردة ولا واردة...

من ناحية الإدارة السياسية في الحرب، كان سماحة الأمين العام لحزب الله هو القائد العسكري والقائد السياسي، وكلّ القرارات تصدر عنه ومساعديه في الشورى الموقّرة، وفي المجلس الجهادي المبارك ومع الدائرة من هيئة الأركان، أو المجالس المصغّرة. كانت ثمة دائرة مكتملة النظام وبديعة التكوين، مرصوصة بيد الولاية، محيطة ومحكمة ومتقنة وحكيمة. لا أعرف على وجه الدقة كيف كانت تدور، لكنّها كانت تدور كما الكواكب البديعة النظام. وحتى اقدّم صورة أولية يمكن الاستفادة من حوار خاص مع سماحة الأمين العام لحزب الله، يكشف فيه حركة هذه الدائرة، بأسلوب أخّاذ. حيث تحدّث سماحة الأمين العام عن لقاءاته مع الحاج قاسم سليماني في بيروت، بحضور الحاج رضوان عماد مغنية وأعضاء المجلس الجهادي وشورى القرار في حزب الله وعن خطّ التواصل الدائم مع سماحة السيد القائد في طهران، في ما أسميه هنا بدائرة الولاية في إدارة الحرب.

إلى جانب دائرة الولاية، أقام سماحة الأمين العام لحزب الله دائرة تنسيق مع الرئيس نبيه بري رئيس المجلس النيابي. يؤرّخ له الوزير علي حسن خليل في كتابه «صفحات مجهولة من حرب تموز»، أنّه في اليوم الخامس تمّ توقيع عقد الشراكة بالأحرف الأولى والأخيرة بين الحلفاء، تم منح الثقة السياسية للرئيس نبيه بري في إدارة المعركة السياسية ثقة من دون برلمان ولا هيئة تشريع، لأنّ أصواتها سترتفع بالمبايعة مع شروق الشمس. ويتابع تحت عنوان سماحته يهديك السلام، تلقّيت اتصالاً من الحاج حسين الخليل وتواعدنا على اللقاء في أحد شوارع منطقة فردان القريبة، وعندما وصلت كان ينتظرني في مرأب إحدى البنايات وهو يعتمر قبعة، ركبنا سيارة واحدة وسرنا في شوارع بيروت، قال إن لديه رسالة من السيد حسن نصر الله إلى الرئيس بري، توجّهنا إلى مكتب الرئيس عند الساعة الرابعة، سحب الحاج ورقة وقال للرئيس حرفياً:

«سماحة السيد يهديك السلام وهو يتابع حركتك بالكامل ويؤكد لك أن الظروف الميدانية للمعركة جيدة. استوعبنا ما حصل بالكامل. لقد اختلفت ظروف المعركة وظروفنا، لقد أصبحنا في مواجهة مفتوحة في الجوّ والقصف الصاروخي وربما في البر. إنّ المعركة على مستويين عسكري وسياسي، عسكرياً أنا مطمئن، كل المؤشرات جيدة، إمكاناتنا الصاروخية سليمة جداً ومؤمّنة ولا خوف حتى الآن، أنا من مكاني أتابع كل حركة الجبهة، كل العمليات، هنا أهمية شبكة الاتصالات، ما في صاروخ يبطلع إلا بقرار ووفق توقيت مدروس، سياتي يوم نتحدث عن تفاصيل المعركة وإنجازات الشباب، الأوراق كثيرة بين أيدينا».

أضاف: «ما يؤلمني هو وضع الناس، لكن لديّ ثقة أنهم يتفهمون لأننا من عب يعرف قيمة الكرامة والحرية. يا أخ نبيه، كما تعاهدنا سابقاً قررنا أن نكمل معاً، وأنا كما أرسلت لك منذ البداية لا نريدها أن تتوسع ولكن هم الذين قرّروا وخيارنا المواجهة وأن نكمل للآخر. على المستوى السياسي، مثل ما بيّن معك أنّ كل الجو الدولي يريد رأس المقاومة وتصفية الحسابات، داخلياً السنيورة ما شايف إلا استلام الأسرى وبدوا يلي بقي من 1559، كل الحكي معنا ومثل ما عم أعرف منّك هو على هذا الأمر، نحن متفقين معك إنو نحافظ على الوضع الداخلي وما نعكس أي صورة انقسام، لكن شغل السياسة صار أصعب بكثير بهذه الحالة، بدنا ننتبه مرتين لأنه بدل أن تحدث المفاوضة مع الخارج هي أولاً مع الداخل وثانياً مع الخارج وهذه مشكلة كبيرة، بكل الأحوال هذا قدرنا. بصراحة وعلى الظروف لا تسمح لي بالمتابعة، أنا والإخوان عندنا ثقة كبيرة بدولتك وبقدرتك على إدارة الأمور، نحن اتفقنا إنو أمر المفاوضات وتفاصيلها بالكامل عندك، أنا شخصياً أملي وثقتي كبيرين، وبعرف أن هذه معركتك». وعليه طلب الرئيس بري من الحاج حسين أن يدوّن الآتي:

«سلّم على سماحة السيد وقل له: أنا منذ اليوم الأول مش قاسم، بعرف إنو هذه معركة مصير، مش لنا بس، لكل البلد، هي معركتنا كلنا، البارحة كلامي كان واضحاً لقيادة الجنوب ولكل الشباب، نحن بأساس المواجهة ومعنيين بالتصدي وأنا بقول بالمعركة البرية رح نكون مشاركين. بتعرف ما عنا قواعد صواريخ لكن على الأرض الإخوان جاهزين والتعليمات إنتو والحزب واحد. بعد اللي صار بهاليومين، أنا صرت مطمئن أكثر. أما بالموضوع السياسي، أشكر السيد، قل له يطمئن، نحن مش بس مش قاسمين، نحن واحد، كانه موجود أساساً من البداية معتبر حالي هيك وعم إحكي عنو لمن فيه ضرورة. يا حاج هذه لحظة تاريخية، المعركة عم ترسم صورة البلد ويمكن المنطقة، ونحن مع بعض فيها مش رح يفرّقنا شي، أنا وصلت لكلّ المواقع يلي يمكن يوصلها شيعي بهذا البلد، واشتغلت كثير حركة ومقاومة وسياسة، وكل يلي بدّي اليوم نحفظ حالنا وتاريخنا والبلد. أنا معك، المعركة على جبهتين واتنينهم صعبين وما في حلول وسط، لازم نربحهم وحدسي بيقول رح نربحهم، ولازم نبقى نعمل لنوحّد جبهة مفاوضاتنا بالداخل مع الآخرين رغم إني بعرف هذا صعب، لكن بدي أعملوا. بالمختصر، نحنا سوا ورح نضل هيك وإن شاء الله سنلتقي بعد الحرب ونهنّي بعض، قل للسيد ما يهكّل هم الجبهة السياسية».

يتضح من ذلك أنّ الرئيس بري قد قبل تكليف سماحة السيد، وأنه سيقوم به على أتمّ وجه ملمّحاً إلى صعوبة العلاقات والتنسيق داخلياً مع الرئيس فؤاد السنيورة، والخارجية مع الدول المعنية من دون أن يأتي على ذكر دور وزارة الخارجية المعنية في هذا الأمر وعلى مجلس الوزراء. ولكن نحفظ لهذه الواقعة دورها من ضمن إدارته لعملية التفاوض المرتبطة بتكليف سماحة أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله وإشرافه عليها من خلال معاونه ومندوبه الدائم إلى الرئيس بري الحاج حسين خليل.

في كتابه «حزب الله والدولة في لبنان»، يذكر الدكتور حسن فضل الله أنّ شورى حزب الله قررت العمل على ثلاث جبهات:

1 ــ الجبهة العسكرية، وتتولاها غرفة عمليات مركزية، وتتفرع منها غرف عمليات في كل منطقة، وتتبع للغرفة المركزية غرفة عمليات إعلامية.

2 ــ الجبهة السياسية، وقد حددت فيها الأسقف التي يمكن الوصول إليها، والحد الأدنى المقبول، وتم تفويض رئيس مجلس النواب نبيه بري بإدارة المفاوضات لوقف الحرب.

3 ــ الجبهة المدنية وتشمل ما له علاقة بالجوانب الإنسانية، كملفات المهجرين والشهداء والجرحى، واعمال الإغاثة بأنواعها كافة، بما فيها الإحصاء الفوري للأضرار في المباني والمنزل.

المشكلة في قراءة السيد حسن فضل الله

> **حاول الرئيس فؤاد السنيورة الاستفادة من تعدّد قنوات التواصل الظاهري من دون الانتباه إلى أنّ هذا التعدّد يشبه الكثرة داخل الوحدة**

لهذا القرار وإشكالياته، أنه يفصل الجبهة العسكرية عن الجبهة السياسية، ويعتبر أنّ كلّ واحدة منها تتحرك باستقلال نسبي عن الأخرى، ولذلك يرى نقطة ضعف في الجبهة السياسية، ويفوت هذا التحليل، أنّ الجبهة السياسية في الحرب حركة تابعة لمجريات ووقائع الجبهة العسكرية، وأنّ القائد في الجبهة العسكرية هو القائد في الجبهة السياسية، لأنّ السياسة في زمن الحرب تنطق لغة الحرب نفسها، وعليه فإنّ كلّاً من الرئيس بري والرئيس السنيورة والحكومة اللبنانية ما كانوا في الحقيقة القيادة السياسية مطلقة الصلاحية والفعالية في الحرب، لأن ما يُقرّر في التفاوض السياسي يجري في الميدان، وذلك ينطبق على كل الدراسات التي تناولت مسألة التفاوض في زمن الحرب. وعليه، فإنني أذهب إلى أنّ ترسيمة القيادة السياسية في الحرب كانت على الشكل التالي:

إذا حاولنا أن نرسم خريطة الإدارة السياسية للحرب يمكن أن نحصل على ما يلي:

السيد حسن نصر الله
دائرة الولاية
الرئيس بري ومعاونيه
وزير الخارجية (شيعي)

وزراء حزب الله في الحكومة
وزراء حركة أمل في الحكومة

الرئيس السنيورة ومعاونوه — الحكومة اللبنانية

وعليه، كلّ ما أرويه عن المجالس الوزارية واللقاءات السياسية يلزم أن يوضع من ناحية تحديد المسؤولية في موقعه من هذه الترسيمة...

ما هو دور الحكومة اللبنانية في هذه الدائرة؟ الحكومة اللبنانية هي المائدة التي توضع عليها المشاريع وتصدر عنها القرارات. وفي الكتاب الذي أصدرته رئاسة الحكومة، بعنوان: «السنة الثانية على حكومة الاستقلال الثاني، سنة الصمود والمبادرة تموز 2006 ـ آب 2017»، يضع الكتاب حرب تموز تحت عنوان: العدوان الإسرائيلي: المواجهة السياسية والدبلوماسية من حكومة (آخر من يعلم) إلى حكومة أول من يبادر. وينسب رئيس الحكومة فؤاد السنيورة، قيادة المبادرات الدبلوماسية، مع ملاحظة امرين:

1 ـ لقاؤه مع الحاج حسين خليل المعاون السياسي للأمين العام لحزب الله.

2 ـ التنسيق مع الرئيس نبيه بري والمكلّف بالتفاوض معه من قبل حزب الله.

لأنّ رئيس الحكومة قدّم نفسه مفاوضاً رئيساً في ما أسماه أخذ المبادرة. وتجاهل دور وزير الخارجية لأنه من تيار مختلف داخل الحكومة. وقد تصدى دولة الرئيس نبيه بري، لإدارة التفاوض، تشكلت دائرة إدارة المفاوضات قوامها إلى جانب الرئيس بري المعاون السياسي الحاج حسين خليل ومساعده الرئيس بري علي حسن خليل، ثلاثية متواصلة مع السنيورة، ومترابطة مع سماحة الأمين العام، تلك كانت دائرة التفاوض الفعلية، خارج ترسيمة الإدارة السياسية أعلاه. إنها أقرب ما تكون إلى خيط تواصل مع السنيورة وعبره مع المفاوضين الدوليين.

حاول الرئيس فؤاد السنيورة الاستفادة، من تعدّد قنوات التواصل الظاهري، من دون الانتباه إلى أنّ هذا التعدّد يشبه الكثرة داخل الوحدة. في معنى أنه واحد، متماسك، يعرف ما يحصل حوله، وما يريده وكذلك ما يريده ويعمل له الآخرون.

أكثر الحلقات التي حاول السنيورة خداعها هم الوزراء الشيعة في الحكومة، من خلال التلويح والإشارة ومرّات التصريح بفصيح العبارة، أن المواقف التي يطرحها داخل مجلس الوزراء متفق فيها مع دولة الرئيس نبيه بري، وأنه يتصرف على قاعدة التفاهم وليس الانقسام. كانت مخادعة ترتكز إلى معرفتنا بأن خطوط التواصل بين السنيورة وبري مفتوحة، ولكن كنا نعرف على وجه الدقة، إلى أين وصل التفاهم بين الرئيسين، وعليه لم نقع ضحية لعبة الخداع التي يبرع فيها بعض السياسيين اللبنانيين.

المجالس الوزارية كانت تحتمل مواقف فورية، خصوصاً أنها تعمل مرات عدة على قاعدة عصف الأفكار، لأن القرار يؤخذ في مجلس الوزراء. وبعض المجالس كانت تطبخ الحلول على النار الحامية. كان تقدم أجوبة أولية لأسئلة فورية عاجلة، أو تدخل في حوار دبلوماسي لتظهير موقف سياسي حصين. مرات كانت تستلزم انتباهه وسرعة البديهة، والشجاعة وقوة الحجة، والخبرة في الجدل والإقناع وتقديم الأدلة، والبحث عن المخارج والحلول...

في المجالس الوزارية كان يحشد الرئيس السنيورة أكبر عدد ممكن من الوزراء المغردين له، سواء كان لهم كان حريصاً أن يدعوهم جميعاً، وكان يحضر إلى جانبهم المستشارون (رئيس الحكومة ومنهم الوزير محمد شطح. إلى جانب ابنة أخته، والمدير العام لمجلس الوزراء الدكتور البوجي. واستند الرئيس السنيورة في حركته إلى تأييد كامل من الأحزاب السياسية المشاركة في الحكومة، ومن حركة القادة السياسيين لهذه الأحزاب مثل: الزعيم وليد جنبلاط، الرئيس أمين جميل، والدكتور سمير جعجع وآخرين إضافة إلى جوقة من الكتّاب والصحافيين ووسائل الإعلام المتعددة التي كانت إمكانياتها في خدمة خطة السنيورة. وهي خطة متفقة مع الأهداف العليا للحرب على لبنان، وفي مقدمتها، تنفيذ القرار 1959 ونزع سلاح المقاومة، والقضاء على حزب الله عسكرياً وسياسياً، والوصول إلى حل شامل، يكون لبنان جزءاً رئيسياً منه، أعلن عنه بولادة الشرق الأوسط الجديد.

ولكن، رغم ما تجمع من عناصر الدعم لحركة الرئيس السنيورة وما أثير من إيلاء الاهتمام للتنسيق والتفاهم بينه وبين الرئيس بري، وحضور الاتصالات مع الدبلوماسيين والسياسيين الدوليين بالسراي وقصر عين التينة، وما تم إعداده في مطبخ الاتصالات واللقاءات السرية، وقد شارك في جانب منها الأخ الحاج حسين خليل ممثلاً لحزب الله ومعاوناً مبعوثاً من سماحة الأمين العام، فإن مسار التفاوض، وتحويله من اتفاقات إلى قرارات ذات صلاحية قانونية وطنية ودولية، كانت تحصل في مجلس الوزراء، وكان جميع الوزراء المسلمين الشيعة محمد فنيش، طراد حمادة، طلال الساحلي، فوزي صلوخ، محمد خليفة، أبطالاً في مواجهة سياسية على مستوى تحديات الحرب. رغم أن ما ورد من تاريخ لهذه المرحلة وقع في استنسابية مذهلة، لا تفسير لها في قواعد كتابة التاريخ، كان يقتصر عند كلّ من علي حسن خليل وحسن فضل الله ذكر الوزراء على اسم الوزير محمد فنيش، فيما الوزراء الآخرون كانوا شخصيات لا أسماء لها وفي ذلك غبن غير مقبول، ويلزم تصحيحه في الطبعات اللاحقة حتى لا تسود قواعد التاريخ الأموي، مع ذكر أشخاصهم وأسمائهم وأدوارهم حتى لا نذهب إلى الردّ عليه وذلك حق مقدّس لكل وزير كان بطلاً من أبطال حرب تموز.

لقد استطاع الوزراء الشيعة في حرب تموز أن يجعلوا من مجلس الوزراء حصناً حصيناً للمقاومة ولبنان في زمن الحرب، تلك كانت واحدة من أهم قواعد وأسرار التفاوض في حرب تموز 2006.

فصل من كتاب «رواية سيرية في حرب تموز»، يصدر قريباً

* كاتب ووزير سابق

(أرشيف)

المعركة حول الأرقام والتغيير المنشود

غسان ديبة *

«نعم نحن حزب المصارف»، اعترف نائب رئيس البرلمان اللبناني. وهكذا تجلّت المعركة حول أرقام خطة الحكومة الاقتصادية، التي أريد لها أن يكون ظاهرها تقنياً، ولكن في جوهرها الحقيقي إنه الصراع الذي تقوده الطبقة الريعية دفاعاً عن مصالحها، ودفاعاً عن النموذج الاقتصادي القديم الذي بدا وكأن أرقام خطة الحكومة تهدّدهما. لكن اليوم، وعلى الرغم من الانتصار الذي حقّقه هذا «الحزب»، إلّا أنّ الطبقة الرأسمالية الريعية، ومعها كلّ الرأسماليين، في حالة من التراجع، بينما تخوض أشرس معركة يائسة للدفاع عن النفس، منذ انتصارها الكبير الذي حقّقته بدءاً من عام 1992. فالنموذج الاقتصادي القديم، الذي بُني آنذاك مع علاقاته الطبقية ينهار، مع أو بدون خطة الحكومة.

الأزمة والخطر على الرأسمال المالي

إنّ الأزمة التي تعصف بالاقتصاد اللبناني، تؤدّي فعلياً إلى نهاية «النموذج الاقتصادي القديم»، الذي اعتمد على العلاقة الخاصة بين تروريكا مصرف لبنان والمصارف التجارية والدولة. فنهاية ربط العملة اللبنانية بالدولار، ووقف سداد الديون على سندات اليورو، أدّيا إلى بداية نهاية دخل الريع الناتج عن الدين العام، كما أنّ ذلك أتى مرتبطاً مع تضخّم مرتفع سيؤدي إلى تراجع الدخل الحقيقي للريعيين (عبر تحوّل الفائدة الحقيقية إلى فائدة سلبية). إذ كان يعتمد هذا الدخل في السابق على معدّلات الفائدة الاسمية المرتفعة والتضخّم المنخفض نسبياً. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ تجميد الحسابات بالدولار، ومن بينها مخزون الثروة المتراكمة سابقاً في أيدي القلّة (أكثر من 50% من الودائع مملوكة بنسبة 1% من المودعين)، يعني أنّ قيمة هذه الثروة مهدّدة بالانخفاض، إمّا من خلال الأسعار بشكل أوتوماتيكي بحكم التحوّل إلى الليرة، أو من خلال آلية «كمية» عبر إفلاس المصارف أو عدم قدرتها على الدفع. هذه النتائج الفعلية للأزمة على مداخيل وثروات الريعيين على الأرجح لن تكون مؤقتة، إذ أن الأزمة هي بعمق ما جعلت «إعادة التشغيل التلقائي» لنظام التراكم القديم المعتمد على الترابط بين المصارف والدولة، بعيداً عن التحقّق.

خطة الحكومة والخطر على الرأسمال المالي

في هذا الإطار، فإنّ خطة الحكومة لحلّ الأزمة تحمل أيضاً في طيّاتها مخاطر «كمّية» على مداخيل وثروات الريعيين، وعلى المنظومة التي أنتجتها كل الفترة السابقة. فهنا، تكمن إحدى معضلات الرأسمالية، إذ أنها عندما تجد حلاً لإحدى أزماتها، فإنّها تحضّر الأرضية لأزمة أخرى؛ فالحل «الكمّي» الذي حملته الخطة، من حيث تحميل المصارف تبعيات الخسائر عبر رأسمالها، تدفع إلى نهاية الريع أيضاً. ففي الخطة إعادة هيكلة الدين العام التي تنطوي على خفض نسبة الدين إلى الناتج المحلّي الإجمالي من 175% إلى 102% في عام 2020، من خلال خصومات كبيرة على قيم سندات اليورو وسندات الخزينة بالليرة اللبنانية. كما تدعو الخطة إلى تخفيض أسعار الفائدة على كلا النوعين من أدوات الدين إلى 3%. ومن المؤكّد أنّ إعادة هيكلة الدين العام وتخفيض الفائدة سوف تتطلّب حسماً كبيراً على الودائع في القطاع المصرفي، وستؤدي إلى انخفاض كبير في المداخيل الناتجة عن المخزون المتبقّي من الديون. في الواقع، من خلال الشروع في الحاجة إلى إعادة هيكلة مصرف لبنان والقطاع المصرفي وتقييم الخسائر المالية في القطاع المالي الناجمة عن إعادة هيكلة الديون، والتخلّف عن سداد قروض القطاع الخاص، والخسائر في مصرف لبنان، تعلن الخطة بشكل لا لبس فيه أنّ التروريكا وصلت إلى نهايتها. ففي النهاية، كان لانهيار عملية البونزي (أي لعبة الاستثمار الهرمي) التي أمّنت في السابق التدفقات في عروق التروريكا، الأثر في إحداث خسائر مالية كبيرة تحتاج إلى معالجة من خلال إعادة هيكلة كاملة للقطاع المالي.

في هذا الإطار، تتوخّى الخطة تمويل «الإنقاذ» من خلال رأس مال البنوك التجارية، ومن خلال شكل من أشكال قصّة الشعر للمودعين الكبار الذين استفادوا تاريخياً من معدلات الفائدة الفائقة، وإن كان وفقاً للخطة «إن السلطات مصمّمة على حماية الغالبية العظمى من المودعين، إن لم يكن جميعهم. إذا أمكن». وقد دفع ذلك جمعية مصارف لبنان إلى شنّ حملة معارضة شرسة ضد خطة الحكومة. وأطلقت الجمعية في 20 أيار/ مايو خطة بديلة أشعلت «معركة الأرقام» التي وصل صداها إلى لجنة المال في البرلمان اللبناني، والتي أعلن تقريرها نهاية خطة الحكومة وأرقامها وإجراءاتها لصالح الحفاظ على مصالح الرأسمال المالي حتى لو تطلّب الأمر الصدام المحتمل مع صندوق النقد الدولي الذي يبدو حتى الآن مقتنعاً بأرقام خطة الحكومة اللبنانية. والأمر الأخير قد يعزّز الحاجة إلى حكومة جديدة تتبنّى خطة المصارف ولجنة المال، وتعيد التفاوض مع الصندوق من موقع الدفاع عن مصالح الأرستقراطية المالية.

الأزمة والصراع السياسي

طبعاً، إنّ نهاية طبقة و/أو صعود طبقات لا يحصل فقط في الحقل الاقتصادي، والصراع الطبقي هو صراع سياسي. كما أنّ الصراع السياسي هو صراع أيديولوجي. وفي الآخير، تروّج بروباغندا المصارف اليوم أنّ الذي يواجهها هو «حزب الإفلاس». وقد التصقت هذه التهمة في أذهان الكثيرين لأنها سهلة وشعبوية، وتحاول أن تقول إنّ الدفاع عن المصارف هو الدفاع عن المودعين. في نهاية الأمر، نجحت هذه السياسة الانتهازية لأنّ خطة الحكومة ظهرت تقنية ويدعمها بضعة أشخاص، ولا تمثّل موقفاً طبقياً أو اجتماعياً أو سياسياً، بينما تقف في صف «حزب المصارف» أكثرية القوى السياسية لنظام الطائف. وهنا، تأتي أهمية مثال بعض الدول التي واجهت المعضلة ذاتها من أزمات مصرفية، سأذكر ثلاثاً؛ وهي السويد والنرويج وأيسلندا. بأشكال مختلفة، رفضت هذه الدول الانصياع لما يمكن تسميته «حزب المصارف» هناك، وقامت بوتائر مختلفة بتأميم بعض المصارف وإعادة الهيكلة والحفاظ في الوقت نفسه على أموال المودعين، فتحمّلت المصارف ومساهموها ومدراؤها تبعيات الأزمة، ولم تُحمّل الدولة أو دافعي الضرائب. الأهم، إنّ هذا الحلّ لم يكن اعتباطياً، فهذه البلدان لم تصل إلى هذا الخيار في مواجهة المصارف، ورفض «تأميم الخسائر وخصخصة الأرباح»، لأنّها توصّلت إليه عبر خطة تقنية أفضل أو أرقام أفضل. ولكن كان الخيار اقتصادياً ـ سياسياً في دول ديموقراطية اجتماعية، وصلت إلى هذا الموقف من الانحياز إلى المجتمع والطبقات العاملة بوجه الرأسمال المالي، عبر الصراع الطبقي الذي حصل منذ عشرات السنوات.

من هنا، فإنّ مواجهة الأزمة اليوم ومواجهة التحالف الطائفي الرأسمالي في لبنان الذي يحاول إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، كما البحث عن بديل، لا يمكن أن يتمّ عبر خطط تقنية فقط، بل عبر آليات سياسية تعيد تنظيم وتصميم الاقتصاد والمجتمع من أجل الأكثرية وليس للقلّة. إنّ الفرصة، الآن، متاحة لفتح جبهة الصراع الطبقي من أجل إلقاء القديم جانباً، وهذا يتطلّب تحويل الانتفاضة إلى معركة سياسية قد تمتدّ حتى الانتخابات المقبلة، لنزع الشرعية عن القوى الطائفية والرأسمال المالي. وهذا يتطلّب جبهة سياسية عريضة يكون الحزب الشيوعي اللبناني، الذي يمثّل التقدّم والديموقراطية والاشتراكية، أساسياً فيها تضع برنامجاً يحمل في طيّاته إرهاصات «معركة الأرقام»، ولكن في أفقه التغيير نحو بناء الاقتصاد والمجتمع الجديدين.

* افتتاحية مجلة «النداء» الصادرة اليوم

الحدث تنفذ مصر مناورات هي الأضخم في المنطقة الغربية على الحدود مع ليبيا، في خطوة تحمل رسائل سياسية، ومحاكاة عسكرية، إلى تركيا التي تعتزم تنفيذ مناورات بحرية وجوية في المياه الدولية شرق المتوسط، بالقرب من الحدود البحرية الليبية

الجيش المصري ينفّذ محاكاة للحرب في ليبيا

جلب مزيد من طائرات «رافال» إلى قاعدتي «محمد نجيب» و«سيدي برّاني» (أ ف ب)

القاهرة ـ الأخبار

بعد ثلاثة أسابيع من تهديد الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي بالتدخل العسكري في ليبيا لمنع انهيار «الجيش الوطني» بقيادة المشير خليفة حفتر، أمام قوات حكومة «الوفاق الوطني» المدعومة من تركيا، بدأت القوات المسلحة تنفيذ أضخم مناورة في المنطقة الغربية في خطوة من شأنها تأكيد جدية التدخل في الأزمة، ولا سيما منع قوات «الوفاق» من السيطرة على سرت والجفرة اللتين أعلن السيسي أنهما خط أحمر لن يسمح لطرابلس وأنقرة بتخطّيه. الجيش المصري حرص على إعلان جزء من طبيعة المناورة التي أطلق عليها اسم «حسم 2020» وتضمنت للمرة الثانية إعلان قدرة سلاح الطيران على تزويد الطائرات بالوقود في الجو، إضافة إلى تفاصيل عسكرية خاصة بالعمل على استهداف الارتكازات العسكرية أثناء تدشينها للحاق أكبر قدر من الخسائر بالقوات المستهدفة، سواء أكانت نظامية أم غير نظامية، وهي خطوة تشبه ما حدث في قاعدة «الوطية» الجوية أثناء محاولة نصب أنظمة دفاع جوي تركية.

تستمر المناورة حتى نهاية الأسبوع الجاري بمشاركة قادة بارزين، وأُضيفت تدريبات مكثفة على تفاصيل جديدة للمناطق الجبلية تنفذها المنطقة الغربية للمرة الأولى، مع وجود نماذج محاكاة أخرى يجري العمل على تنفيذها. ويجري القتال بسيناريوات تحاكي بعض المناطق في ليبيا، وهي نماذج تم تصميمها بناءً على معلومات ومساعدة من قوات حفتر بصورة مباشرة، بعدما أُجري تنسيق واسع معها طوال الأيام الماضية. تقول مصادر عسكرية مصرية لـ«الأخبار» إن ترتيبات تُجرى لاحتمالية إجراء مناورات مصرية ـ فرنسية خلال المدة المقبلة بخلاف المناورات التي ستشارك فيها فرنسا مع إيطاليا وقبرص واليونان في المتوسط خلال أيام، فيما يستعد السيسي لإعلان صفقة أسلحة جديدة لتعزيز القدرات الدفاعية للجيش لم تُكشف تفاصيلها بعد.

حتى الآن، لا تزال تُرسل يومياً إلى الرئاسة المصرية ووزارة الدفاع وقادة الأركان تقارير عن الوضع الميداني في ليبيا، بتنسيق مصري ـ فرنسي، ولا سيما عبر الأقمار الاصطناعية التي تجري مراقبة دقيقة لأي تحركات تركية عسكرية أو مدنية. كما يتواصل التنسيق مع حفتر في ظل استعداد طائرات «رافال» المصرية لتنفيذ هجمات في أي لحظة، خاصة أن بعض هذه الطائرات نُقلت من مواقعها إلى قاعدتي «محمد نجيب» و«سيدي برّاني»، فضلاً عن استنفار أُبلغ به الطيارون المدربون. إلى جانب ذلك، ثمة ضغوط من القاهرة على باريس لإقناع ألمانيا وباقي دول الاتحاد الأوروبي باتخاذ موقف أكثر حسماً تجاه تركيا، ولا سيما مع وصول المقاتلين حتى أمس. وقد أرسل المتحدث باسم قوات حفتر، اللواء أحمد المسماري، معلومات إلى القاهرة ظهر أمس، أكدتها مصادر في ليبيا، بتنسيق مصري ـ فرنسي، ولا سيما عبر الأقمار الاصطناعية التي تجري مراقبة دقيقة لأي تحركات تركية عسكرية أو مدنية. كما يتواصل التنسيق مع حفتر في ظل استعداد طائرات «رافال» المصرية لتنفيذ هجمات في أي لحظة، خاصة أن بعض هذه الطائرات نُقلت من مواقعها إلى قاعدتي «محمد نجيب» و«سيدي برّاني»، فضلاً عن استنفار أُبلغ به الطيارون المدربون. إلى جانب ذلك، ثمة ضغوط من القاهرة على باريس لإقناع ألمانيا وباقي دول الاتحاد الأوروبي باتخاذ موقف أكثر حسماً تجاه تركيا، ولا سيما مع وصول المقاتلين حتى أمس. وقد أرسل المتحدث باسم قوات حفتر، اللواء أحمد المسماوي، معلومات إلى القاهرة ظهر أمس، أكدتها مصادر في ليبيا، بتنسيق مصري ـ فرنسي، ولا سيما عبر الأقمار الاصطناعية التي تجري مراقبة دقيقة لأي تحركات تركية عسكرية أو مدنية. كما يتواصل التنسيق مع حفتر في ظل استعداد طائرات «رافال» المصرية لتنفيذ هجمات في أي لحظة، خاصة أن بعض هذه الطائرات نُقلت من مواقعها إلى قاعدتي «محمد نجيب» و«سيدي برّاني»، فضلاً عن استنفار أُبلغ به الطيارون المدربون. إلى جانب ذلك، ثمة ضغوط من القاهرة على باريس لإقناع ألمانيا وباقي دول الاتحاد الأوروبي باتخاذ موقف أكثر حسماً تجاه تركيا، ولا سيما مع وصول المقاتلين حتى أمس. وقد أرسل المتحدث باسم قوات حفتر، اللواء أحمد المسماوي، معلومات

> أُضيفت تدريبات مكثفة على تفاصيل جديدة للمناطق الجبلية للمرة الاولى

النفط الليبيّ يعود إلى التصدير

أعلنت المؤسسة الوطنية للنفط في ليبيا استئناف إنتاج وتصدير النفط، بعد نحو ستة أشهر من التوقّف بسبب الحرب الدائرة في البلد، قائلة في بيان أمس إنه تم «رفع القوة القاهرة عن كل صادرات النفط من ليبيا»، لكنّها أشارت إلى أنّ زيادة الإنتاج واستعادة مستويات إنتاج ما قبل التوقف ستستغرقان وقتاً طويلاً. جراء «الأضرار الجسيمة التي لحقت بالمكامن والبنية التحتية بسبب الإغلاق» المفروض منذ 17 كانون الثاني/يناير الماضي. وأضاف البيان إنّ ناقلة ستبدأ بتحميل النفط من ميناء السدرة شرقي البلاد، علماً بأن ليبيا كانت تنتج 1,22 مليون برميل يومياً بداية العام، فيما كانت تأمل في رفع معدّل الإنتاج إلى 2,1 مليون بحلول 2024، على ما أعلنت المؤسسة هذا الأسبوع، لكن نتيجة الأضرار قد ينخفض الإنتاج إلى 650 ألف برميل خلال عام 2022. وأجريت مطلع الشهر الجاري مفاوضات «تحت إشراف الأمم المتحدة والولايات المتحدة» لاستئناف إنتاج النفط الذي تسبّب توقفه في خسائر بـ6,5 مليارات دولار، وفق البيان.
(أ ف ب)

سوريا

جدل بشأن قرار تصريف 100$: الحكومة نحو إقرار استثناءات؟

أثار قرار فرض تصريف مبلغ 100$ على السوريين العائدين إلى بلادهم، جدلاً واسعاً بين المقيمين والمغتربين على السواء. وعلى رغم ورود معلومات عن تعديل قريب للقرار، ورفده ببنود جديدة تتيح استثناءات، إلا أن الخطوة الحكومية لا تزال تثير سخطاً بوصفها - كما يراها البعض - «مخالفة دستورية واضحة»

دمشق ـ **مرح ماشي**

قرار حكومي جديد أرخى بثقله على السوريين الذي يعيشون أوضاعاً معيشية شديدة الصعوبة، عبر فرض قيود على العائدين منهم من لبنان إلى بلادهم. القرار الذي اقترحه وزير المالية قبل أكثر من شهر، خلال اجتماع لمجلس الوزراء، ولاقى الموافقة أخيراً، يقضي بإلزام السوريين ومَن في حكمهم تصريف مبلغ 100$ أو ما يعادله من العملات الأجنبية التي يقبل بها مصرف سوريا المركزي حصراً، إلى العملة السورية، وفقاً لنشرة أسعار صرف الجمارك والطيران عند دخول الأراضي السورية. ولم يُرفق القرار بآيّ شروحات أو توضيحات، باستثناء إعفاء المواطنين الذين لم يُتمّوا الثامنة عشرة من عمرهم، إضافة إلى سائقي الشاحنات والسيارات العامة، من تطبيقه.

السوريون في لبنان

الخطوة الحكومية الجديدة أثارت جدلاً كبيراً بين مقيمين مؤيّدين لحق الدولة في جمع القطع الأجنبي بأيّ وسيلة، ورافضين للقرار من المقيمين في الخارج أو أصحاب الحاجات المضطرين إلى عبور الحدود دورياً، والذين يقدّرون أن تبلغ خسارتهم بفعل الفارق بين سعر الصرف في السوق السوداء والسعر الرسمي ما يزيد على 50$، أي أكثر من 100 ألف ليرة سورية. ومن بين هؤلاء يبرز المغتربون خصوصاً، على اعتبار أن الضرر الذي سيلحق بهم سيطال أيضاً الكثير من سوريّي الداخل. وفي هذا الإطار، يشير طلال، وهو طالب جامعي، إلى أن «أبادي المغتربين البيضاء هي التي تبقي الكثير من سوريّي الداخل على قيد لقمة العيش بالحدّ الأدنى»، مضيفاً أن «شركات الصرافة تشهد على جهود المغتربين الذين حملوا مسؤولية عائلاتهم في الداخل، وأرسلوا المبالغ الدورية عبر وكلاء محليين لشركات الصرافة بالليرة السورية بحسب سعر الصرف المركزي، ما رفد خزينة الدولة طيلة سنوات الحرب».

> يرى البعض أن القرار موجّه ضدّ السوريين المقيمين في لبنان تحديداً

من جهته، يعتقد حسان، المهندس العامل في لبنان، أن القرار «لا يضيّق العودة إلا على السوريين في لبنان، وسط الأوضاع الاقتصادية الخانقة في البلد الجار، وخفض الأجور إلى ما دون 30% بالنسبة إلى معظم السوريين العاملين أسوة باللبنانيين أنفسهم، وصعوبة الحصول على النقود بالعملة الأميركية، بسبب فقدها من السوق اللبنانية». ومن هنا، يرى الرافضون للقرار أن الحكومة تلزم من خلاله المواطنين بدفع «إتاوات»، بما يخالف المادة 18 من الدستور السوري التي تنصّ على «عدم فرض الضرائب والرسوم والتكاليف العامة إلا بقانون»، علماً بأن القوانين تُقرّ عبر مجلس الشعب بعد دراستها ومناقشتها والموافقة عليها.

حديث التعديلات

لا يختلف السوريون على ضرورة إدخال عملات أجنبية إلى المصرف المركزي، لكن النقاش يتركّز حول إذا ما كان المبلغ المفروض على السوريين القادمين إلى بلادهم، في ظلّ تناقص أعداد المسافرين يومياً منذ ما قبل إغلاق الحدود بسبب «كورونا»، سيخلّف تأثيراً إيجابياً على الخزينة العامة. وفي خضمّ هذا النقاش، يبرز اعتبار البعض أن الخسارة المقدّرة بـ50$، والتي ستنجم عن القرار، «لا تضير الوافدين إلى البلاد»، مغفلين حقيقة أن جزءاً من هؤلاء يخرجون إلى البلد الجار لأمور طارئة لمدة ساعات أو أيام. إزاء ذلك، تعتقد حنين، المدرّسة الأربعينية، أنه «يجب استثناء الحالات الإنسانية». وإذ ترى أن «الوطن احتاج أبناءه، وعليهم دعمه»، إلا أنها تنتظر إدخال تعديلات على القرار، من مثل قصر تطبيقه على المغتربين العائدين إلى بلادهم كلّ عام، وليس على الجميع. وبالفعل، بدأ يدور حديث عن تعديلات ستطرأ على القرار قبل دخوله حيّز التنفيذ، من بينها أن «يُدفع المبلغ في حال زادت مدّة سفر المواطن السوري خارج البلاد على 72 ساعة». وفي انتظار التعديلات المتوقعة، تُطرح تساؤلات، أيضاً، حول «الحكمة» من مساواة الطلاب السوريين في لبنان والمسافرين بغرض العلاج، برجال الأعمال وأصحاب الإقامات الخارجية، علماً بأن النظام الضريبي في سوريا، وفق البند الثاني من المادة 18، يقوم على «أسس عادلة»، من بينها الضرائب التصاعدية التي تحقق مبدأي «المساواة والعدالة الاجتماعية».

ينصّ الدستور السوري على «عدم فرض الضرائب والرسوم والتكاليف العامة إلا بقانون» (أرشيف)

السودان

حمدوك يهزّ التوازن الحكوميّ: لا تفاؤل بالتعديلات

آثار قرار عبد الله حمدوك إجراء تعديل وزاري، حتى قبيل تشكيل المجلس التشريعي، جدلاً في الأوساط السياسية. وفيما ادرجه البعض في إطار التمدّد المتواصل لأرث النظام السابق، رأى فيه آخرون خطوة على طريق ضمّ «الجبهة الثورية» إلى الحكومة

الخرطوم ـ **مي علي**

مستفيداً من الصلاحيات التي منحته إيّاها «الوثيقة الدستورية»، أجرى رئيس الوزراء السوداني عبد الله حمدوك، أوّل تعديل وزاري في أوّل حكومة انتقالية تشكّلت بعد الإطاحة بنظام الرئيس المخلوع، عمر البشير. وقبل حمدوك، أول من أمس، استقالة ستّة وزراء هم: الخارجية، المالية، الثروة الحيوانية، الطاقة والتعدين، البنى التحتية، والزراعة والموارد الطبيعية. كما أصدر قراراً أعفى بموجبه وزير الصحة من منصبه. ووفق ما تنصّ عليه «الوثيقة الدستورية»، فإن عضو مجلس الوزراء يفقد منصبه في حال تقدّم باستقالته لرئيس الوزراء وقبلها الأخير على أن يتمّ تصديقها من «المجلس السيادي»، أو في حال أعفاه رئيس الوزراء من منصبه وقبل «مجلس السيادة» ذلك أيضاً. وبحسب بيان صادر عن حمدوك، فإن الأخير طلب من الوزراء المعنيّين الدفع إليه باستقالاتهم، التي قُبلت ستّ منها بينما تمّ إعفاء وزير الصحة بعدما تحفّظ عن تقديم استقالته على اعتبار أن الحزب الذي رشّحه لتولّي الوزارة لم يُطلب منه ذلك. لكن الوزير أكد أن قرارات رئيس الوزراء «محلّ تقدير واحترام» لديه، معلناً أن عملية التسليم والتسلّم ستتمّ اليوم السبت في مباني وزارة الصحة في الخرطوم.

حمدوك، الذي وصف التعديل بـ«المحدود»، أدرج خطوته في إطار «السعي لتطوير الأداء الحكومي، وتنفيذ مهام الفترة الانتقالية، والاستجابة للمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية المتسارعة»، لافتاً إلى أن قراره جاء «بعد إجراء تقييم شامل ودقيق لأداء الجهاز التنفيذي خلال الفترة الماضية»، مضيفاً أن «عملية التقييم ستستمرّ حرصاً على تحقيق أهداف الثورة، ووفاءً لدماء وتضحيات الشهداء».

غير أن التقييم الذي تحدّث عنه رئيس الوزراء كان مثار جدل في الأوساط السياسية، وخصوصاً أن المجلس التشريعي المناط به مراقبة الجهاز التنفيذي لم يُشكّل حتى الآن. كذلك، أعيد طرح تساؤلات حول أداء حمدوك المتّسم بالضعف والتردّد، إلى جانب البيروقراطية - التي ورثها أيضاً، أخذ على حمدوك استفراده بالتعديلات الأخيرة بعيداً عن «قوى الحرية والتغيير»، الحاضنة السياسية للحكومة، والتي أطاح قراره بعدد من الوزراء المرشّحين من قِبلها من دون التشاور معها (اكتفى حمدوك بإبلاغها بالأمر). وفي هذا الإطار، أشار «الحزب الشيوعي» إلى أنه علم بأمر التعديلات من التلفزيون الرسمي، فيما تحفّظ «حزب الأمة القومي» على عدد الوزراء الذين طاولهم التغيير، معتبراً أن التعديل كان يفترض أن يتمّ بصورة أشمل، وفق مشروع العقد الاجتماعي المقدّم من قِبل الحزب إلى رئيس الوزراء.

في المقابل، ثمة مَن ربط التعديلات الوزارية بقرب الإعلان عن التوصل إلى اتفاق سلام مع «الجبهة الثورية» التي تضمّ عدداً من الحركات المسلّحة. وفي هذا السياق، بدا لافتاً إخلاء وزارات سيادية كوزارة الخارجية، وأخرى بالغة الحساسية كالمالية والزراعة ولا سيما في الظرف الاقتصادي الضاغط الذي تعيشه البلاد. وبحسب بعض التسريبات، فإن «الجبهة الثورية» طالبت بثلاثة من مقاعد «كتلة السلام» في «المجلس السيادي»، وجميع مقاعدها في المجلس التشريعي، إلى جانب خمس وزارات. غير أن المستشار الإعلامي لرئيس الوزراء، فائز السليك، نفى وجود علاقة بين التعديلات الوزارية والمفاوضات مع الحركات المسلحة، قائلاً إن «ما يتداوله البعض عن تسمية وزراء جدد ليس له أيّ قدر من الصحة».

وكان حمدوك مهّد لخطوته قبل نحو سرت أيام، بالخطاب الذي ألقاه في ذكرى «30 يونيو»، حيث أعلن أنه سيتخذ قرارات حاسمة في مسار الفترة الانتقالية، وسيكون لبعضها أثر سياسي واقتصادي كبير، داعياً الجميع إلى تفويت الفرصة على بعض الجهات التي ستحاول استغلال القرارات التي سيعلنها من أجل «صناعة حالة من عدم الاستقرار». ورغم إدراكه أهمية حفظ التوازن بين مكوّنات الحكومة الانتقالية، وهو توازن هشّ وتعرّض للكثير من الهزات سابقاً، إلا أن رئيس الوزراء لم يراع - بحسب مراقبين - هذه الخصوصية في قراره إعادة ترتيب الحكومة.

أخليت وزارة المالية في ظرف اقتصادي ضاغط تعيشه البلاد (أ ف ب)

موقع رئيس الوزراء مبتغاها.

تقرير

«تسويات» في السويداء مجدّداً... لضبط الأمن

«حقنًا للدماء». وفي محاولة جديدة لمعالجة مشاكل المنطقة الأمنية عبر طرق أخرى غير «الحلول الأمنية والعسكرية»، أبرمت السلطات السورية اتفاقية «صُلح» مع عصابة امتهنت الخطف والسلب لسنوات. وقضت المصالحة بانتشار الجيش في البلدة ومحيطها حيث تتصدّد الجرائم بشكل لافت. لكن ردود الفعل المحلية تتباين تجاه هذا النوع من التسويات

طارق علي

لم توفّر السلطات السورية حتى اليوم فرصةً للوجود في محافظة السويداء، بحد أدنى من الاحتكاك أو التوتر. في المقابل، شريحة لا بأس بها من أهل المدينة لا تزال تحمّل الحكومة مسؤولية الاختلال والانفلات الأمني في المحافظة، والذي يتزايد منذ بداية الحرب. الشريحة ذاتها، تقف على مسافة واحدة من العصابات الفالتة والأجهزة الأمنية الرسمية، فلا هي تعفي العصابات من المسؤولية عن الممارسات غير القانونية، ولا هي تقرّ للسلطة بالقيام بالحد الأدنى من واجباتها تجاه أهل المنطقة. العنوان الأبرز في السويداء هو عمليات القتل والسلب والخطف مقابل الفدية. يكاد لا يمر يومٌ على المدينة الجنوبية، وقراها المحيطة، بلا تسجيل جريمة من هذا القبيل. البعض في المدينة يعيد أسباب تفشّي الجرائم إلى تردّي الوضع الاقتصادي والمعيشي، بينما ترفض القيادات العشائرية هذا التبرير، معيدةً الأمر إلى انتشار السلاح وصعوبة مواجهة هذه العصابات «بالنار»، ما قد يقود المحافظة إلى تصعيد لا يمكن معه التوقع كيف ستنتهي الأمور.

وتحظى بعض هذه العصابات بتغطية محلية، وإن كانت محدودة، على صعيد القرى وبعض الفصائل المناوئة للدولة. الفصائل التي تعتبر نفسها معنية شخصياً بحماية المدينة، حتى من السلطة الرسمية نفسها، سرعان ما تحوّلت إلى خصم للمدينة ذاتها، عبر تشريع عمليات الخطف والقتل وعموم الممارسات التي جعلت من دخول المدينة مهمةً صعبة لغير ساكنيها. فالمستهدف الأول في الخطف هو الوافد من محافظة أخرى، ولا يخلو الأمر من خطف أولاد المحافظة ذاتها لأسباب متعددة، منها ما هو مرتبط بالثأر، أو تحصيل الحقوق، أو الخطف لأجل الفدية أحياناً.

وقد شهدت المدينة في حزيران/ يونيو الفائت، تظاهرات واحتجاجات على الوضع المعيشي المتردّي في البلاد، لكنها سرعان ما تحولت إلى تظاهرات سياسية رفعت شعارات مناوئة للسلطة، لتطالب أيضاً بخروج إيران وروسيا من البلاد، وتطالب حتى برحيل السلطة نفسها، في مؤشر على انقسام السويداء على نفسها، حيث قوبلت هذه التظاهرات بمسيرات مؤيدة نفذتها جهات حكومية وطلابية في المدينة.

وفي إطار تدخّل الأجهزة الحكومية لمحاولة كبح جماح الجريمة ووقف تصاعدها في المنطقة الجنوبية، وقراها من جهة، ومحاولة تفشّي الجرائم إلى تردّي الوضع الاقتصادي والمعيشي، بينما ترفض القيادات العشائرية هذا التبرير، معيدةً الأمر إلى انتشار السلاح وصعوبة مواجهة هذه العصابات «بالنار»، ما قد يقود المحافظة إلى تصعيد لا يمكن معه التوقع كيف ستنتهي الأمور.

وتحظى بعض هذه العصابات بتغطية محلية، وإن كانت محدودة، على صعيد القرى وبعض الفصائل المناوئة للدولة. الفصائل التي تعتبر نفسها معنية شخصياً بحماية المدينة، حتى من السلطة الرسمية نفسها، سرعان ما تحوّلت إلى خصم للمدينة ذاتها، عبر تشريع عمليات الخطف والقتل وعموم الممارسات التي جعلت من دخول المدينة مهمةً صعبة لغير ساكنيها. فالمستهدف الأول في الخطف هو الوافد من محافظة أخرى، ولا يخلو الأمر من خطف أولاد المحافظة ذاتها لأسباب متعددة، منها ما هو مرتبط بالثأر، أو تحصيل الحقوق، أو الخطف لأجل الفدية أحياناً.

وقد شهدت المدينة في حزيران/ يونيو الفائت، تظاهرات واحتجاجات على الوضع المعيشي المتردّي في البلاد، لكنها سرعان ما تحولت إلى تظاهرات سياسية رفعت شعارات مناوئة للسلطة، لتطالب أيضاً بخروج إيران وروسيا من البلاد، وتطالب حتى برحيل السلطة نفسها، في مؤشر على انقسام السويداء على نفسها، حيث قوبلت هذه التظاهرات بمسيرات مؤيدة نفذتها جهات حكومية وطلابية في المدينة.

وفي إطار تدخّل الأجهزة الحكومية لمحاولة كبح جماح الجريمة ووقف تصاعدها في المنطقة الجنوبية، وقراها

مصدر مطلع لـ«الأخبار» أن «السلطات أبرمت اتفاق مصالحة مع عصابة بلدة عريقة، وهي عصابة محلية تتخذ من القرية مقراً لها». المصالحة، بحسب معلومات «الأخبار»، شملت «أكثر من 20 عنصراً محلياً مسلحاً، قاموا بتسوية أوضاعهم قانونياً، وتعهّدوا بعدم ممارسة أي عمل يخلّ بالأمن العام». ويضيف المصدر الأمني: «قرارنا هذا جاء لرأب الصدع مع المكونات المحلية في السويداء، وكمحاولة منا تعبّر عن حسن نيتنا». وفي حين أشار المصدر إلى أن اتفاقية المصالحة ستشمل ما يتعلق بقضايا الحق العام، لفت إلى أن «ما يتعلق بالدعاوى الشخصية يمكن لباقي الأفراد متابعتها قضائياً عبر توكيل محامٍ خاص». وقد سلّمت هذه العصابة نحو 10 بنادق آلية، وقواذف «آر بي جي»، وقنابل يدوية، وحشوات قذائف، وصناديق ذخيرة متعددة، على أن يكون هناك إعادة انتشار لنقاط الجيش على مداخل البلدة وداخلها.

ولا يبدو أن سبيل التسويات سالكٌ في المنطقة، أو قد يؤدي إلى نتائج إيجابية واضحة. إذ بعد يوم واحد على المصالحة المذكورة، أقدمت عصابة أخرى من البلدة ذاتها على طلب فدية بقيمة 15 مليون ليرة، مقابل شابين من حلب، كانت قد اختطفتهما سابقاً. وبمعزل عن هذه المصالحة أو سواها، فإن مسألة ازدياد الجريمة في المدينة وجوارها تستدعي بحسب رأي بعض سكانها «حلاً شاملاً تقوم فيه المرجعيات الروحية بدورها الواجب عبر مكانتها الدينية لدى أهالي المنطقة»، لوضع حد لتفلّت الأمور، وإيجاد طريقة لحماية المدنيين وتحصينهم، تمهيداً لإعادة المدينة إلى الوضع الآمن بعيداً عن كل المخاطر.

تقرير

الجائحة وصعود مركزيّة الدولة: كيف يرسم «كورونا» مستقبل الاتحاد الأوروبيّ؟

النقاش الذي أفضت إليه جائحة «كورونا» أوروبياً كان بمثابة حملٍ ثقيل على الدول الاعضاء، المتضرّرة منها والقيادية أيضاً. الاولى فكّرت في كيفية التحرّر من هذه المنظومة، التي غابت في وقت الشدّة. والثانية لا تزال إلى الآن تنظر في كيفية الحفاظ على التكتّل. بينما يركّز الكثير من الخبراء على ضرورة الخروج بشكل جديد أكثر صلابة

نادين شلق

في خضمّ المواجهة مع فيروس «كورونا»، ولاحقاً خلال بداية تخفيف العديد من الدول الأوروبية من إجراءات التباعد الاجتماعي، طُرح سؤال جوهري: هل من المحتمل أن يغيّر هذا الوباء وجه أوروبا؟

فرضيةٌ نتجت من واقع أنّ أزمة «كورونا» كشفت عن نقاط ضعف كبيرة لدى الاقتصادات الأوروبية، الأمر الذي تفرّعت منه تساؤلات كثيرة عن مدى شرعية واستمرارية النموذج الاقتصادي والسياسي القائم. وهو، بالتالي، ما دفع الكثير من الخبراء إلى التكهّن بأنّ المشهد السياسي الأوروبي، في فترة ما بعد «كورونا»، قد يتميّز بمطالبات بعقدٍ اجتماعي واقتصادي جديد، قوامه دفع الحكومات للقيام بالمزيد من أجل المواطن، ومن أجل تحصين نفسها واقتصاداتها، في وجه الصدمات الخارجية المستقبلية.

بالنسبة إلى البعض، منَح «كورونا» أوروبا فرصة فريدة من نوعها، من أجل تقييم كفاءتها، على مختلف المستويات، فكان أن تمحور جزءٌ من النقاش حول أيّ نوع من اتحادٍ أوروبي جديد يجب أن يولد. وبينما من المستحيل توقّع الشكل الذي سيكون عليه التكتّل، لكنّ ذلك لا يلغي تبلوره عبر ما أدّت إليه الأزمة من دور أكبر للدولة في الاقتصاد، على الأقل. شكلٌ أجمع عليه العديد من الخبراء، على اعتبار أنّ «كورونا»، وكيفية التعامل معه، أكّدا قوة الدولة، وأثبتا دورها المركزي في تأمين العناية الصحية والمساعدة الاقتصادية الضرورية. بمعنى آخر، كشفت الأزمة أنّ الدولة هي الضامن الأساسي للاقتصاد، كما فتحت المجال أمام رؤية الخيارات المتاحة في حال تدخّلها.

في هذا الحيّز من المسألة، يعكف الكثير من المتخصّصين على المقارنة مع الأزمة المالية العالمية، عامَي 2008 ـ 2009. حينها، لجأت العديد من الدول الأوروبية إلى التخفيضات في الإنفاق العام، من أجل معالجة العجز في الموازنة وارتفاع مستويات الدين العام، والذي كان من أسبابه التحفيز المالي ردّاً على الأزمة. ولكن التأثير السياسي لأزمة «كورونا» يفيد بأنّ مقاربة مشابهة غير ممكنة حالياً. فبحسب معهد «تشاتام» البريطاني، قد تتّبع الحكومات سياسة ضريبية مختلفة، وأكثر تخصّصاً، أي أنّها قد تفرض ضرائب على الثراء، بهدف تصحيح التوازن بين رأس المال والعمّال، ومعالجة المشكلة الأكبر المتمثّلة بعدم المساواة. صحيح أنّ التوترات بسبب هذه المسألة كانت موجودة قبل «كورونا»، ولكنّها تفاقمت، بشكل خاص، في ظلّ تعرّض قطاعات مثل السياحة لخسائر كبيرة. يبقى الأهم من كلّ ذلك، وفق «تشاتام» وغيره، هو أنّ دور الحكومة لن يقتصر على هذا الحد، بل إنها قد تعتمد نهجاً جديداً، وأكثر نشاطاً، في السياسة الصناعية، عبر زيادة إدارة الدولة للقطاع، والتخطيط الاقتصادي.

عموماً، الجدل لن يكون متمحوراً حول دور الحكومة من عدمه فقط، فالعوائق كثيرة أمام تطبيق أي خطط إنعاش جماعية، أو فردية، وأساسها منطقة اليورو، التي تعدّ العنصر الأكثر ضعفاً ضمن منظومة الاتحاد الأوروبي، والأكثر إثارة للجدل، منذ تفشّي الجائحة. ففي حين غيّرت ألمانيا موقفها لمصلحة دعم التحويلات لمرة واحدة من الشمال إلى الجنوب، عبر آلية صندوق الإنعاش، ظهر خطّ الصدع ـ تقريباً بين الشمال والجنوب ـ الذي ميّز أزمة اليورو، منذ عام 2010، بشكل أوسع هذه المرة. بل أكثر من ذلك، يمكن القول إنّ التكلفة البشرية، وحجم الركود الاقتصادي المتوقّع، جاءا ليمثّلا تحدياً أساسياً للوحدة الأوروبية. وقد تجلّى ذلك في إيطاليا، حيث شعر كثيرون بالخيانة من قبل الاتحاد الأوروبي. في تلك الفترة، اشتعل النقاش السياسي الحقيقي في منطقة اليورو، عندما طُرحت أسئلة بشأن كيفية تمويل الرد على الأزمة. وبعد أسابيع عدّة من المفاوضات الحامية، جرى التوصل إلى حزمة تسوية تضمّنت قروضاً منخفضة الفوائد لأي دولة عضو تطلبها، وتوسُّعاً غير محدّد في موازنة الاتحاد الأوروبي لتمويل الاستثمار أثناء فترة الانتعاش. ولكن هذه الإجراءات، على رمزيتها، لا تزال بعيدة عن مفهوم التضامن الذي تطالب به العديد من الدول الأوروبية، وهو ما يبقي الباب مفتوحاً على جدل كبير.

بناءً عليه، فإنّ هذا النقص في التكامل المالي، وما ينتج عنه من نقص في مساحة المناورة للدول الأعضاء الضعيفة مالياً، لهما العديد من العواقب المحتملة على منطقة اليورو، في الفترة المقبلة. أوّلاً، يعني ذلك أنّ الدول مثل إيطاليا واليونان ستنمو وتتشفى من الأزمة، بشكل أبطأ من تلك مثل ألمانيا، التي يمكنها أن تتكفّل تأمين المزيد من المساعدات الحكومية المؤقتة. ثانياً، يعني ذلك أيضاً أن الاقتصادات الأكثر ضعفاً مالياً، ستكون لديها قدرة أقلّ على دعم الاستثمار، بالطريقة التي قد يطالب بها المواطن، بعد الأزمة. بمعنى آخر، فإنّ الركود المطوّل في هذه البلدان، إلى جانب رؤية الاقتصادات الأوروبية الأخرى التي تحقّق أداءً أفضل نسبياً، والشعور بأنّ استجابة الاتحاد الأوروبي ناقصة، يمكن أن تعزّز المطالب الشعبية بترك العملة الموحّدة ـ وخصوصاً في إيطاليا ـ كما يمكن أن تخلق مخاطر سياسية أوسع للاتحاد.

لا ينتهي الأمر عند هذا الحد، إذ يمكن للتحوّل في النموذج السياسي، باتجاه تدخّل أكبر من قبل عدد من الحكومات، أن يتعارض مع متطلّبات العضوية في السوق الموحّدة. وفي هذا المجال، يشير «تشاتام» إلى احتمال أن تتأثر الحريات الأربع التي تؤطّر السوق الموحّدة، وهي: حرية تحرّك البضائع، رأس المال، الخدمات والأشخاص. والمثال الأقرب، إمكانية تأثر حركة البضائع بمحاولات زيادة الأولوية الوطنية، الأمر الذي حصل، بالفعل، في وقت مبكر من أزمة «كورونا»، عندما طبّقت دول أعضاء ضوابط التصدير على المعدّات الطبية.

وسط كلّ ما تقدّم، تبقى ألمانيا، اللاعب الأقوى في هذه المعادلة، ولكنّها مثل غالبية جيرانها، تأثّرت بحالة الطوارئ العالمية التي تركت أثراً مدمّراً. فهي تواجه أسوأ ركود في تاريخ ما بعد الحرب العالمية الثانية، بفعل ارتفاع معدّل البطالة وانهيار الصادرات والإنتاج الصناعي. إلّا أنّ تجربة العديد من شركاتها تفيد بإمكانية تعافي اقتصاد هذه البلاد، أسرع بكثير من جيرانها. وزير الاقتصاد الألماني بيتر التماير، لخّص الثقة الحذرة في برلين، بالقول: «نرى اتجاهاً إيجابياً واضحاً في مزاج الناس»، مشيراً إلى الاستثمارات التي لا تزال متوقّعة هذه السنة، إضافة إلى التحفيز الذي قدّمته الحكومة. وهو يذهب أبعد من ذلك، مستشرفاً بأنّ بلاده ستكون «القاطرة الاقتصادية»، التي ستسحب أوروبا والعالم من أزمة فيروس «كورونا». ربّما يبني التماير إيجابيته هذه على توقّعات مستقبلية تبدو أقلّ «كآبة» ممّا كانت عليه قبل أشهر. لكنّ آفاق ألمانيا ليست مشجّعة للغاية على المدى الطويل. فبالنسبة إلى بعض الاقتصاديين، يخفي اعتمادها الكبير على الصادرات فخّاً محتملاً: يمكن لعالم ما بعد «كورونا» أن يثبت عداءه للاقتصادات المنفتحة التي تعتمد على التجارة الحرّة، وسلاسل التوريد الدولية، والمؤسسات المتعدّدة الأطراف، وذلك وسط بردٍ فعل متصاعد ضد العولمة. «النمو الألماني بين عامَي 2010 و2019 كان ناتجاً بشكل كبير عن التجارة الخارجية، ولكن لن ترى ذلك في السنوات المقبلة»، على ما يقوله رئيس معهد «كيبل» للاقتصاد العالمي، غابرييل فيلبرماير، لصحيفة «فايننشال تايمز» البريطانية.

بنحوٍ أكثر تفصيلاً، تشير هذه الصحيفة إلى أنّ صعود الصين، وطلبها الذي لا ينضب على السيارات والآلات الألمانية، يُعدّان أحد المحرّكات الكبيرة للازدهار الاقتصادي الألماني، الذي دام 10 سنوات، أي الأطول في تاريخها بعد الحرب. إلّا أنّ العقبة الحالية تتمثّل في أنّ الاقتصاد الصيني انكمش، للمرة الأولى خلال الربع الأول من العام، و«الآن، هناك شكوك حول ما إذا كان سينمو في عام 2020»، وفق فلبرماير.

انطلاقاً من التجربة الألمانية، يمكن القول إن أزمة فيروس «كورونا»، أدّت، بالفعل، إلى تعزيز دور الدولة كحامية وواضعة لاستراتيجيات وطنية. وهو ما عبّر عنه الاقتصادي كريستيان سان ـ إتيان، خلال مشاركته في لقاءات «أيكس أن سين»، في باريس، إذ قال إنّ «الإنفاق العام ومسألة فعّالية الدولة باعتبارها دولة سيادية ودولة راعية وواضعة استراتيجية، (سيكونان) المسألة المركزية في الأعوام المقبلة».

لكن على المستوى السياسي الأوروبي ككلّ رأى، هو وغيره من الخبراء، أنّ هذه الأزمة قد تخوّل الاتحاد الأوروبي اكتساب قدرات دولة فدرالية، بناءً على أنّ دوله ومؤسّساته المشتركة أدركت خطر تفكّك التكتّل، وتحرّكت لتعزيزه. وهو ما قدّر المصرفيّ جان ـ لوي غيرودول من بنك «لازار»، حصوله، عند إشارته إلى أنّه عند إقرار خطة التعافي التي تبلغ قيمتها 750 مليار يورو، «سوف نستذكر هذه اللحظة ربما باعتبارها بداية لأوروبا فدرالية».

أساساً، يجب على الدول الأوروبية الاتفاق على تفاصيل هذه الحزمة، الأمر الذي يبدو صعباً جداً إلى الآن. فبينما تقترح المفوضية أن يجري توزيع المال على شكل هبات، تعارضها مجموعة من الدول الأعضاء ـ وهي النمسا وهولندا والسويد والدنمارك ـ التي تفضّل تقديمها على شكل قروض. بالمختصر، إن توضّلت دول الاتحاد الأوروبي إلى اتفاق، في الـ17 من الشهر الحالي، فذلك سيكون بمثابة إغاثة مرحّب بها من قبل دولٍ مثل إسبانيا وإيطاليا والبرتغال واليونان، التي تعتمد، أكثر من غيرها، على السياحة، والتي تضرّرت بشكل خاص من تداعيات فيروس «كورونا». ولكن الأبلغ تعبيراً، والأكثر غموضاً، هو أنّ هذا «الإنعاش سيمثّل فصلاً جديداً في تاريخنا، نفساً جديداً، دفعاً جديداً، وحدة أوروبية جديدة»، بحسب ما جاء على لسان رئيسة المفوضية الأوروبية، أورسولا فون دير لايين.

يرى خبراء أنّ هذه الأزمة قد تخوّل الاتحاد الأوروبي اكتساب قدرات دولة فدرالية (أ ف ب)

انكماشٌ بنسبة 8,3%

ظهرت أولى نتائج أزمة «كورونا» في الاقتصاد الذي سينكمش بشكل أكثر حدّة هذه السنة، وسيتطلّب وقتاً أطول ممّا كان متوقعاً للتعافي، الأمر الذي يخلق ضغوطاً أكبر على قادة الاتحاد الأوروبي، من أجل وضع اللمسات الأخيرة على خطط حزمة الإنعاش الضخمة، التي يتفاوضون عليها. الفوضية الأوروبية كانت قد أعلنت، قبل أيام، أنّها تتوقّع أن ينكمش الاقتصاد الأوروبي بنسبة 8,3%، أي ما يُعدّ أسوأ من الـ7,4% التي كانت متوقّعة قبل شهرين. بل إنّ من المتوقّع أن يكون النمو، خلال العام المقبل، «أقلّ قليلاً» ممّا كان يُعتقد سابقاً، مع ارتفاع الناتج المحلّي الإجمالي بنسبة 5,8%. ففي إيطاليا، حيث بلغت أعداد الوفيات أرقاماً قياسية، من المتوقّع أن تشهد انكماشاً بنحو 11,2% هذه السنة، وهو أسوأ انخفاض في منطقة اليورو. كذلك، فإنّ اقتصادَي فرنسا وإسبانيا سينكمشان بحوالى 10%.

(الأخبار)

> وزير الاقتصاد: «ألمانيا القاطرة الاقتصادية التي ستسحب أوروبا والعالم من أزمة كورونا»

استراحة

كلمات متقاطعة 3495

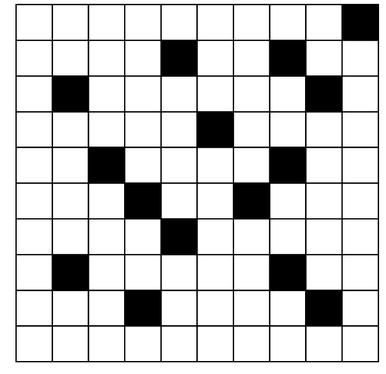

أفقيا

1- مؤلّف عربي فارسي الأصل نقل من البهلوية الى العربية الكتاب الشهير كليلة ودمنة – 2- شهر ميلادي – التمني – سائق مركبة تجرّها الأحصنة – 3- عاصمة أميركية – 4- مواد قاتلة – بحيرة في الشرق الأقصى بين روسيا والصين – 5- أصل – خلو بالأجنبية – مرتفع من الأرض – 6- عائلة مخرج سينمائي هنديّ راحل – للتعريف – إنقطع فترة عن الطعام والشراب – 7- مادة مركبة كان الأقدمون يزعمون أنها تحوّل المعدن الرخيص الى ذهب أو شراب بطيل الحياة – محلّ مرتفع يرتقيه الخطيب يكلّم منه الجمع – 8- طرد – عاصمة أوروبية – 9- أمر واضح لا غبار عليه – سعر زهيد – 10- مدينة مصرية

عمودياً

1- دولة أوقيانية من دول العالم المتقدمة – 2- والد – مدينة مغربية غنيّة بآثارها – 3- متشابهان – نعم بالأجنبية – إسم موصول – 4- تحتك ونمسّ بعضنا – جاف وغير رطب من النبات – 5- مدينة فرنسية – مدينة بريطانية فيها قصر من القرن الرابع عشر – 6- شجر التمر المعروف يعيش في المناطق الحارة – شرائح وقوانين – 7- امكنة ومواقف قطارات السكك الحديدية – يئس وسئم – 8- وضع القوانين في الإطار الصحيح – من الأشجار المثمرة – 9- صفة شخص لا نظير له – مدرسة صغيرة لتعليم الصبيان القراءة والكتابة – شقيق بالعامية – 10- منطقة معروفة في بيروت

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- الزبرجد – خس – 2- هيروشيما – 3- أفوز – ورم – 4- در – أمّ – فك – 5- رنا – هملايا – 6- بدلهما – ثمل – 7- صرّة – دا – 8- ببدا – النعص – 9- يرجمه – فر – 10- رقيب – يوصي

عمودياً

1- الإدريسيّة – 2- فرند – 3- زهو – الصديق – 4- بيزا – هراري – 5- ر ر – مهنّة – جب – 6- جون – ما – أم – 7- دش – فل – دلهي – 8- بوكاتان – 9- خمر – يم – عفص – 10- سامر المصري

3495 sudoku

	6		5	9	1	8		
2	1						3	9
				2			6	
1	4			3	6			
6	9			7			4	5
	7		4	5			1	2
7	3	8					5	
		6	8	1	7		9	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3494

1	7	4	6	8	5	3	2	9
2	8	3	9	7	1	5	6	4
5	9	6	4	2	3	1	8	7
4	5	7	2	3	6	8	9	1
3	6	8	7	1	9	2	4	5
9	1	2	8	5	4	6	7	3
8	3	9	5	6	7	4	1	2
7	2	5	1	4	8	9	3	6
6	4	1	3	9	2	7	5	8

مشاهير 3495

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

سياسي من المحافظين البريطانيين وزير دولة للشؤون الخارجية والكومنولث عام 2014. تنقل في عدة وزارات منها الدفاع والنقل والمالية

6+7+5+3+2 = أحد أبناء آدم ■ 8+9+10+11 = عالم بالأجنبية ■ 1+4 = حرف جر

حل الشبكة الماضية: **صبحي الرفاعي**

إعداد **نعوم مسعود**

وفيات

إنّا لله وإنّا إليه راجعون
بمزيد من الرضى والتسليم بقضاء الله وقدره ننعى إليكم فقيدتنا الغالية المرحومة

زهرة علي احمد

زوجها: رمزي شامي
والدها: المرحوم الحاج علي علي أحمد
والدتها: الحاجة ماشاءالله حجازي
أبناؤها: يحيى، حياة، نجلا وفاديا
أشقاؤها: حسين، المرحوم غسان ومحسن
شقيقاتها: نوال زوجة عبد الكريم أحمد
أمال
غنوة زوجة كمال مدني
فاديا زوجة نيكولا بعقليني
نتاليا زوجة عامر اللادقي
وافتها المنية يوم السبت الواقع فيه 04 تموز 2020 في ديترويت ميشيغن
سيُصلى على جثمانها الطاهر وتوارى الثرى في جبانة بلدتها حاريص يوم الاثنين الواقع فيه 13 تموز 2020 الساعة الثانية من بعد الظهر
تُقبل التعازي بعد الدفن في منزل والدها في حاريص
بسبب الظروف الراهنة وحرصاً على سلامة الجميع يُرجى أخذ الحذر خلال التعازي
للفقيدة الرحمة ولكم من بعدها طول البقاء
الآسفون: ال أحمد وحجازي وشامي ونصور ومدني وبعقليني واللادقي
وعموم أهالي حاريص وبنت جبيل

ذكرى

ذكرى سنوية
تصادف يوم 13 تموز ذكرى مرور سبع سنوات على وفاة المأسوف على صباها

مريام رضا سعادة

يرجى ممّن عرفها وأحبّها أن يدعو لها أن يكون مثواها الجنة، أو أن يهديها ثواب السورة المباركة الفاتحة

لإعلاناتكم الرسمية والمبوبة والوفيات
الأخبار
هاتف: 759555 ـ 01
فاكس: 759597 ـ 01

إعلانات رسمية

إعلان
من أمانة السجل العقاري في المتن
طلب السيد حبيب إبراهيم أبي ضومط بوكالته عن السيدة جمانه اسكندر ماضي زوجة فيكتور الحاموش والسيد اميل جوزف خليفه بصفتهما مفوضين بالتوقيع بالإتحاد عن بنك سوسيته جنرال في لبنان ش.م.ل. الذي كان سابقاً الشركة العامة اللبنانية الاوروبية المصرفية ش.م.ل. الدائنة في القسم رقم /4/ من البناء القائم على العقار رقم /356/ من منطقة عين الخروبة العقارية شهادة تأمين بدل عن ضائع بإسم الشركة العامة اللبنانية المصرفية ش.م.ل.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوم
أمين السجل العقاري في المتن
مايكل حدشيتي

إعلان لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلب محي الدين توفيق درياس بصفته متولياً على القسيمة الأول من وقف عبدالله درنيقة النشار سندين بدل ضائع للعقارات: 1026 – 1027 – زيتون طرابلس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري بالتكليف

إعلان لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلب محمود طلال منجد بالوكالة سند تمليك بدل ضائع عن ملكية مريم انطانيوس رزق بالعقار 64 كفرحبو.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري بالتكليف

إعلان
لأمانة السجل العقاري في الكورة
طلب طاني عنتر بالوكالة سند تمليك حبيب شيبان الياس في العقار رقم 714 كفرصغاب.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلب سمير أحمد السليمان بوكالته عن أحمد رشيد سليمان شهادتان بدل ضائع للعقارين 38 و124 كروم عرب.
للمعترض 15 يوم يوم للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان لأمانة السجل العقاري في عكار
طلب طه مصطفى طالب بصفته أحد ورثة مصطفى ابراهيم طالب سندات بدل ضائع للعقارات 96 و166 و221 و223 و224 و225 و227 و600 جديدة القيطع.
للمعترض 15 يوم للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان لأمانة السجل العقاري في عكار
طلبت نديمة نديم الحسن سندان بدل ضائع للعقارين 932 و934 حلبا.
للمعترض 15 يوم للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري في عكار
طلب محمد جمال المصري بوكالته عن أحمد عبد الحميد هاشم سند بدل ضائع بحصته البالغة بالعقار 46 تلكري.
للمعترض 15 يوم للمراجعة
أمين السجل العقاري

الأخبار
al-akhbar
السبت 11 تموز 2020 العدد 4097

صورة وخبر

في ورشة عائلتها المتواضعة في بونو في مرتفعات بيرو بالقرب من الحدود مع بوليفيا، تعمل فنانة التطريز التقليدي، يولاندا شامبي (44 عاماً)، على أقنعة للوجه مستوحاة من رقصات شهيرة يؤدّيها المشاركون في مهرجانات الأنديز التي تم إلغاؤها هذه السنة بسبب فيروس كورونا. شامبي، المنتمية إلى الجيل الثالث من المطرّزات، تستغرق نصف يوم لإنجاز كل قطعة يدوياً، ومن ثم بيعها من أجل تغطية نفقاتها في فترة ضيقة مالية كبيرة بفعل تأثير الأزمة الصحية العالمية على الأنشطة الثقافية والفنية التي تعتاش منها. علماً بأنّ بيرو تحتل المرتبة الثانية في أميركا اللاتينية، بعد البرازيل، على صعيد حالات كورونا، إذ سجلت أكثر من 312 ألف إصابة، وما يزيد عن 11 ألف وفاة حتى كتابة هذه السطور. (كارلوس ماماني ــ أف ب)

«إذاعة لبنان» عودة البرامج الأجنبية

أمس الجمعة، استأنفت «إذاعة لبنان» (96.2 FM) بث البرامج الخاصة بفرع اللغات الأجنبية، بعد حملة ضغط مكثّفة، عبر وسائل الإعلام والسوشال ميديا، شارك فيها خلال الأيام الماضية العاملون في المؤسسة. الحملة أعقبت الصرخة التي أطلقها الناقد الموسيقي وفنان الفيديو غيث الأمين بعدما أبلغت الإذاعة الموظفين لديها بأنه سيُصار إلى وقف البرامج الثقافية والأخبار في قسمها الأجنبي «نظراً إلى الظروف الاقتصادية الضاغطة»، بدءاً من 1 تموز (يوليو) 2020. هذه الصرخة وجدت صداها لدى المعنية المباشرة بالملف، وزيرة الإعلام منال عبد الصمد التي سبق أن أكدت عبر تويتر أنّ صوت «إذاعة لبنان» سيبقى عالياً، معلنةً توقيعها اعتمادات الإذاعة بانتظار إقرارها.

أغنيات جديدة في حفلتَيْ «مسرح المدينة»

زياد سحاب: «حب مالوش حدود»

بدءاً من يوم الثلاثاء المقبل، يستأنف «مسرح المدينة» أنشطته بحفلة مميزة تشارك فيها مجموعة كبيرة من الفنانين بعنوان «هيصة المدينة». بعد هذه السهرة، يحتضن الفضاء البيروتي عدداً من الأنشطة الفنية المنوّعة، من بينها حفلتان لزياد سحّاب (الصورة) وفرقته بالاشتراك مع لمياء غندور في 23 و24 تموز (يوليو) الحالي. كلّ من هذين الموعدين، سيتميّز ببرنامج غنائي مختلف، يعتمد بشكل أساسي على أغنيات جديدة ستُسجَّل مباشرةً قبل أن يُصار إلى طرحها خلال ثلاثة أشهر على أبعد تقدير ضمن ألبوم. وحتى يحين اللقاء مع الجمهور، يعمد زياد سحّاب إلى نشر الأغنيات الجديدة تباعاً عبر مواقع التواصل الاجتماعي، من بينها مثلاً نشيد يحمل اسم «اتجمّعوا» من ألحانه وكلمات الشاعر والكاتب والصحافي المصري محمد خير. ومما سيتخلّل الحفلتان أيضاً: «شُفتَكْ»، «كُنت نسيتك»، «عرفوا يخوّفوك»، «مش فاكر»، «مش بس حبّك اللي راح» و«قهوة الصباح» من كلمات محمد خير، بالإضافة إلى «لو فيك تحسّسني بشي» (كلمات غادة صالح) بصوت لمياء غندور، و«حب مالوش حدود» (كلمات أمين حداد).

أما الفرقة الموسيقية، فستتألف من: بشّار فرّان (باص)، فؤاد عفرا (درامز)، خليل البابا (كمان)، جورج أبي عاد (كيبوردز) ورانيا غندور (طياب). وكما جرت العادة، سيعزف زياد على عوده.

زياد سحاب والفرقة بالاشتراك مع لمياء غندور: الخميس والجمعة 23 و24 تموز ـ الساعة الثامنة مساءً ـ «مسرح المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 01/753010

الأخبار
al-akhbar

السبت 11 تموز 2020
العدد 4097 السنة الرابعة عشرة
Samedi 11 Juillet 2020 no 4097 14ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

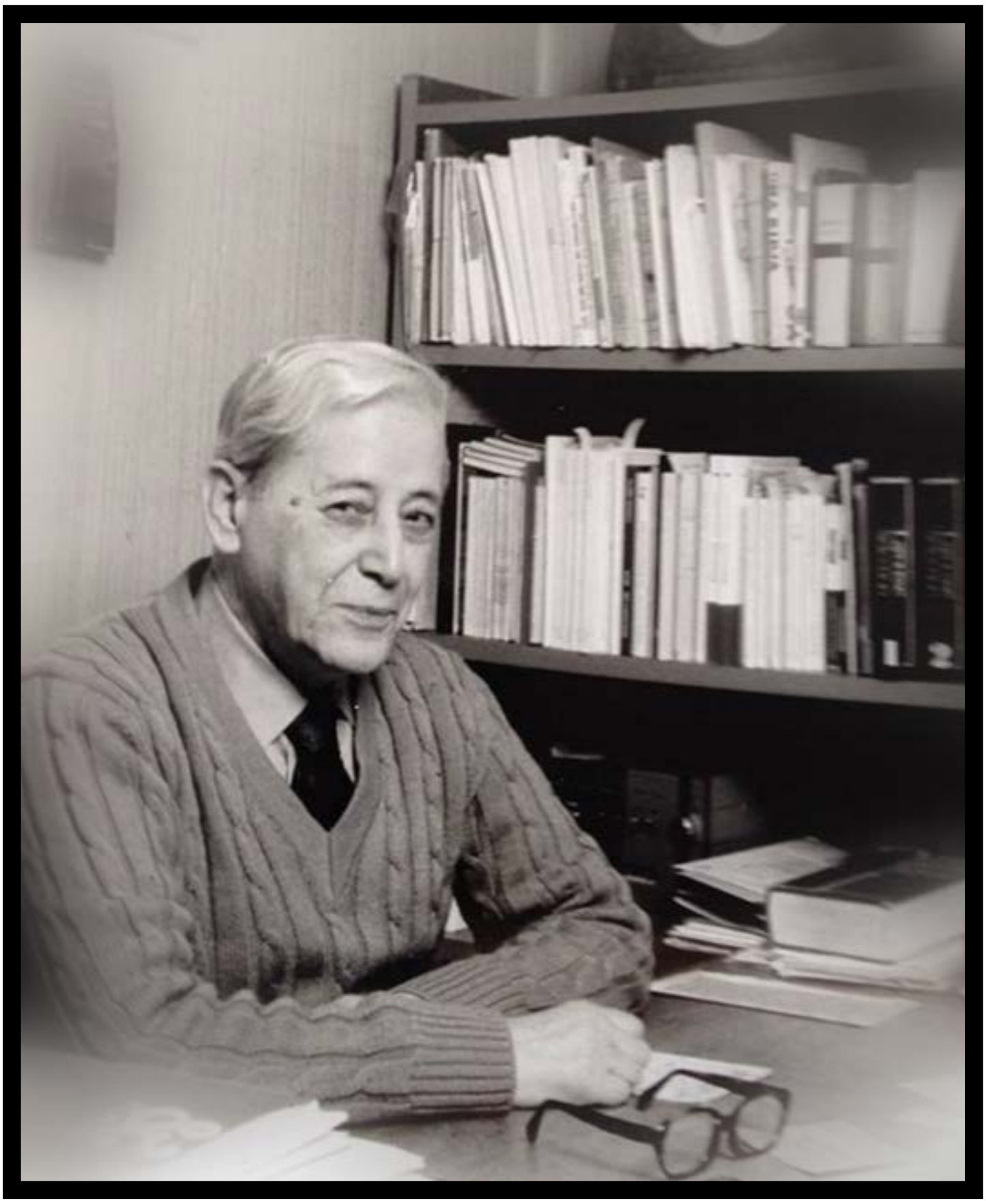

محمد ديب
مؤرشف الشقاء الجزائري

خليل صويلح

يوماً ما، كانت قراءة ثلاثية محمد ديب (1920-2003) «الدار الكبيرة»، و«الحريق»، و«النول» ضرورة جمالية، بوصفها إحدى العلامات المؤسسة في السرد الروائي المغاربي. رغم أنها مكتوبة بالفرنسية، إلّا أن ترجمة سامي الدروبي لها أعادتها إلى الأصل. استخدم الكاتب الجزائري الرائد لغة موليير مرغماً، فلم يكن يملك وسيلة تعبير أخرى لكتابة أوجاع بلاده في ظلّ الاستعمار الفرنسي لها: «إن أخيلتي وتصوّراتي نابعة من اللغة العربية، فهي لغتي الأم» يقول. إنها سيرة الجوع في المقام الأول، سيرة الخبز المستحيل «خبزنا لم يكن ممنوحاً لنا بسهولة»، ومكابدات الفلاحين في الأرياف المهملة، وتفتح وعي العمّال في معامل النسيج، وأسباب الشقاء الأبدي. لا وقت للخيال هنا، فقد دوّن محمد ديب مسودة ضخمة عن وقائع عاشها عن كثب بمرارة، مثلما تنبأ بـ «حريق» سيشبّ من تحت الرماد. وإذا بهذه الثلاثية تتحوّل إلى تأريخ موازٍ لحرب التحرير الجزائرية في خمسينيات القرن المنصرم، لكنه ـ في نهاية المطاف ـ سيدفع ثمناً باهظاً، بنفيه خارج البلاد. كان محمد ديب مخزن تجارب، فمن اليتم المبكر إلى العمل في التعليم، وسكة الحديد ومعمل النسيج، ثم مترجماً في جيش الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية. كما عمل في الصحافة إلى جانب كاتب ياسين وألبير كامو، مترحلاً من تلمسان إلى المغرب، وصولاً إلى باريس، في عزلةٍ طويلة، وسيُدفن في مقبرة سان كلو، بعيداً عن هواء تلمسان. هذه التجارب الغنية تسللت إلى نصوصه، من دون زخرفة. مشاهد الجوع في «الدار الكبيرة» تنطوي على مكابدات شخصية لفرط واقعيتها وقسوتها وخشونتها، وكذلك تجربته في معمل النسيج (النول). كتابة غير مهادنة ستتطور سردياً على مراحل لاكتشافه ضرورة «إنارة عتمات عصرنا بأضواء كاشفة»، ما أثار سخط البوليس الفرنسي لتجاوزه الخط الأحمر في المواجهة. عدا الثلاثية، كتب صاحب «الإله في بلاد البرابرة» نحو 30 عملاً في الشعر والمسرح والقصة والترجمة، مؤكّداً على الحميمية والروح العجائبية لشخصياته المحليّة التي كانت حينذاك تعيش مهمّشة خارج المشهد، بين قوسي البحر والصحراء «ليس هناك من شيء سوى الصحراء. ما من شيء. أنا أعرف ما هي الصحراء. أنا من الصحراء أيضاً. نحن أمام صحراء أكبر فقط. لا شيء يحدث، لا شيء يُرى، ما عدا هذا السياج الذي يفصلنا عنها» يقول. سيلتفت لاحقاً إلى توثيق الحكايات الشعبية الجزائرية في مجلدٍ ضخم، كأنه أدرك ضرورة استعادة هويته الأولى على نحوٍ آخر. في مئويته التي تصادف في هذا العام المضطرب، سيكمل محمد ديب عزلته وغيابه وشجنه. على الأرجح ستعبر ذكراه بصمت، وكأنه لم يؤرشف فسيفساء الجزائر يوماً، في يوتوبيا مضادة، لعله قدر الآباء الروحيين، ألم يمت وحيداً في المنفى؟

حوار

اكتسب نور الدين كريديس (1955) شهرته كأحد أبرز أسماء علم النفس في تونس، باحثاً ومحللاً نفسياً وأستاذاً جامعياً، واحد الباحثين العرب القلة الحاضرين في الجمعيات الدولية لعلم النفس. بالنسبة إليه، كان علم النفس وسيلة للعبور إلى الكتابة الأدبية. رأى باكراً أن العلوم الإنسانية والاجتماعيّة هي سبيله إلى فهم الواقع الإنساني، وإلى مدّ كتابته الأدبية بأبعاد أكثر عمقاً، مقتفياً بذلك مسيرة الروائي المصري نجيب محفوظ الذي درس الفلسفة قبل أن يحسم الأمر للأدب في النهاية. لكن الاختصاص الأكاديمي استولى على كتابات كريديس لفترة طويلة في مؤلّفات بحثيّة متنوّعة باللغة الفرنسيّة، تركّز على التواصل بشكل أساسي منذ أعماله الأولى: «التواصل والتربية... انطلاقاً من لويس كارول» (1984)، و«فيتاميات المعنى» (1992)، و«بسيكولوجيا الفنان الخالف» (2010)، و«أن نفكّر في الثورة» (2012). انتظر كريديس حتى سنة 2018، لكي ينشر مؤلّفين أدبيين باللغة العربية هذه المرّة. لم يكن الأمر خياراً، بقدر ما أعادته الكتابة الأدبيّة إلى لغة الضاد في مجموعته القصصية «آخر طائرة إلى تونس» (منشورات «نحن»)، وفي رواية «الرحيل» التي أولى فيها أهمية إلى اللغة التونسية الدارجة. في حواره مع «الأخبار»، تنقّل الكاتب والأكاديمي التونسي بين مجالّي الأدب وعلم النفس. شاركنا قراءاته الأخيرة خلال فترة الحجر المنزلي، وبعض التحوّلات التي يمكن تطرأ على سلوكيات المجتمعات وطرق تفكيرها بعد انقضاء الوباء. كذلك، تناول واقع علم النفس في تونس، ودعانا إلى عالمه الصغير الموثّث بالقراءات وبالتفاعل العميق مع الواقع، بالإضافة إلى مشاريعه المقبلة في الأدب والترجمة والبحث

تقديم وحوار **بثينة عبد العزيز غريبي**

نور الدين كريديس: عن علم النفـس والأدب و«البجعة السوداء»

■ هل أثرت الإجراءات التي يعيشها العالم للوقاية من فيروس كورونا على حياتك ككاتب؟

مثل كلّ الناس، أصابني فيروس كورونا وتبعاته بالقلق. لكني كنت أنسى هذه الأزمة ما أن أنغمس في نشاطي اليومي مثل القراءة والكتابة والتواصل مع أشخاص في إطار العمل عبر الإنترنت، أو مشاهدة بعض الأفلام والمشي، فيما ظلّت مشاهدتي للأخبار تقتصر على نشرة واحدة عند الساعة الثامنة مساء. في هذه الفترة، أقبلت على القراءة بشكل مكثّف. اكتشفت عشرات الكتب من تلك التي كانت ما زالت مكدسة على الرفوف، خصوصاً مع صعوبة إيجاد الوقت الكافي في سائر الأيام قبل هذه الأزمة. أتذكّر دائماً حكاية العالم الروسي الذي نجا بأعجوبة من الدمار الشامل الذي لحق بمدينة ستالينغراد أثناء الحرب العالمية الثانية. ما أنقذه أنه كان يستيقظ كل صباح من كل يوم ليقوم بالأشياء نفسها: يذهب إلى مخبره أو ما بقي منه في المبنى المدمر. كان يقضي يومه كأنه يوم عادي ثم يعود إلى بيته في آخر النهار، قام بهذا كلّ يوم. وقد أنقذه هذا الروتين من مواجهة الرعب الذي كان يخيم على المدينة المحطمة.

■ باعتبارك اختصاصياً نفسياً، هل ترى تغييرات مستقبلية ستطال سلوك الناس بعد الأزمة؟

لا يمكن لأحد أن يتوقّع المستقبل، أو ما تخفيه الأيّام المقبلة. هناك أشياء مجهولة إيجابية أو سلبية قد تحدث، ولكن أعتقد بصفة عامة أن الناس سيعودون إلى سائر سلوكياتهم اليومية. لدى الناس قدرة

> **الارتباط بين حقلي الفلسفة والأدب بدأ يتقلص تدريجاً تحت ضغط التخصص المفرط للجامعيين وضعف الرؤى التي توّجح ضمائرهم**

غريبة على التجاوز والتأقلم لأنها السبيل الوحيد لاستمرار الحياة. لكن الصدمة التي تلقّتها البشرية ستزيد حتماً من سلوك الوقاية والحذر والحيطة الذي قد يستمر لمدة طويلة من الزمن حتى بعد القضاء على فيروس كورونا. إذ لا شك في أن فيروسات أخرى ستعبث بالإنسانية في مناسبات مقبلة، لأن هناك ثغرة فُتحت ولن تندمل بسهولة. على الناس التعود على أن هناك عناصر قاتلة في المحيط تتربص بهم. من المحتمل أن ظاهرة الخوف وربما الانغلاق على النفس ستنتشر، وكذلك بالنسبة إلى المجتمعات.

■ انشغل معظم الاختصاصيين في مجالات مختلفة بالوباء. هل تعتقد أنه سيكون له حضور في أعمالك خلال السنوات المقبلة؟ هل تفكر في كتابة شيء من هذا القبيل؟

هناك فترة اختمار ضرورية يحتاج لها إنجاز أيّ عمل فني حول هذه الآفة. لكن من دون شك، سيكون لها حضور في أعمال السنوات المقبلة. في الحقيقة، لم تكن مواجهة الأوبئة أمراً جديداً على الإنسانية. في مؤلّفه «الخوف في الغرب (من القرن الرابع عشر إلى القرن الثامن عشر): مدينة محاصرة»، كتب المؤرخ الفرنسي جان دليمو عن كيفيّة مواجهة المجتمعات الغربية للأوبئة، وما نتج عنها من مخاوف وتغيّرات اجتماعية. ولعلّ الرجوع إلى هذه الوثائق التاريخية يساعد على وضع الأوبئة في إطار زمني عام، وفي إطار جغرافي واسع.

■ بدأت أوّلاً بكتابات بحثية في علم النفس، ومنذ سنتين خضت تجربة أدبية في الرواية والقصة، أين ستكون كتاباتك القادمة؟

في المجالين. هناك أعمال كثيرة على الطاولة. أنا منغمس حالياً في كتابة رواية، ولكن الكتابة عمل عسير وشاق وله قواعد غير منطقية، لذلك أعالج هذا النص منذ أكثر من سنتين، لكنه يفعل بي ما يشاء أكثر مما أفعل به. كذلك لي عمل حول الطفولة في تونس وهي دراسة ميدانية قيد الإنجاز، وكذلك أقوم بتعريب كتاب حول التواصل من الفرنسية.

تختلف اللغة بين الكتابة البحثية والأدبية. لقد درست علم النفس باللغة الفرنسية. ولكن الأدب كتبته منذ البداية باللغة العربية، ليس لأن الأخيرة لغة أدب ولا لأن الفرنسية لغة علم، بل لأن الكتابة اختارت لغتها منذ البداية ومعها المفاتيح والمتاهات والألغاز. ولغتي هي نافذتي على الشخصيات وعلى الزمان والمكان. لذلك، عندما تقرأ رواية «الرحيل»، فإنّك تقرأ كتاباً عن فترة زمنية وعن مكان، بلغة ذلك الزمان وذلك المكان. أوليت الاعتبار في الكتاب إلى اللغة التونسية الدارجة أي لغة كل يوم، من دون أن تكون زائدة أو في غير مكانها. هي لغة نشتم منها رائحة المطر وعودة الغائب ولعب الأطفال مثل كتب الروائي الفرنسي مارسيل بانيول، التي تتحدث عن الجنوب الفرنسي بجماله وخصوصياته وتفرده بنمطه وشخصياته، من دون الخضوع لهيمنة المركزية الباريسية. «الرحيل» هي مواكبة لفترة من حياة زنقة كما هي موجودة في العديد من المدن التونسية في سنوات ما بعد الاستقلال... وكيف سيقوم القطار بقطع المسافات اللازمة حتى تستعيد الذاكرة ما تسمح به هي فقط. فالذاكرة تفعل ما تشاء، تستحضر وتنسى، تهمل وتقص، تستعيد وتمنح نفسها... وليس الشاعر أو الروائي إلا ذلك المشاهد لتلك النجوم المتهافتة التي تراها أحياناً من دون سابق إنذار ليلاً، والتي لا تمنح سرّها إلا لمن أبصرها، من دون أن تكون له القدرة على استرجاعها للآخرين كما راها بكل دقة. هكذا هو عمل الراوي والشاعر، بحث دؤوب عن ذلك الضوء المباغت والهارب، إنه بحث عن المعنى. ذلك المعنى هو غذاء روح الأفراد والشعوب.

وفي ما يخصّ «آوّل طائرة إلى تونس»، فهي كما يوحي عنوانها برنامج عكسي، لكني لم أكن على دراية بهذا منذ البداية. لقد اكتشفت ذلك لاحقاً كقارئ لنصي. هو برنامج عكسي، انطلاقاً من رواية لأحداث شخص كان يعيش لمدة 27 سنة في ألمانيا. إنه برنامج يعاكس كل البرامج المقترحة على الشباب المظلوم والمحروم أو على من يشعر بنفسه كذلك، وهذه البرامج تتمثل في الحرقة إلى السفر خلسة على متن أول سفينة أو قارب صيد إلى أي وجهة أوروبية. ولكنني لم أقل شيئاً عن كل هذا في تلك القصة القصيرة. بل هي مجرد سرد أحداث لمهاجر تونسي قرّر فجأة أن يعود في «آوّل طائرة إلى تونس». هكذا هي كل الأقاصيص القصيرة في المجموعة القصصية.

■ إلى أي حدّ يستفيد كاتب السرد لديك من الباحث في علم النفس؟ وبشكل عام كيف ترى العلاقة بين المجالين اللذين تتحرك بينهما كتابة البحث العلمي والكتابة الأدبية في العالم العربي؟

لقد كان الأديب المصري نجيب محفوظ قدوتي في سنوات الشباب. قرأت كتبه، وعلمت أنه كان قد درس الفلسفة قبل أن يختار الوظيفة الإدارية ليتفرغ تماماً إلى الكتابة. وليس بعيداً عن هذا المسار، كنت واثقاً في تلك الفترة أنه لا بدّ لي من العلوم الإنسانية والاجتماعية وخصوصاً علم النفس لكي تزداد كتاباتي عمقاً، ولكي أصبح قادراً على فهم الواقع والإنسان، وهذا ما يفسّر جزئياً اختياري للفلسفة ولعلم النفس كدراسة جامعية. ولكن ما لم أكن قد خطّطت له هو بقائي في البحث والتدريس كل هذه السنين، بعيداً عن حبي الأول. وعلمت في ما بعد أن الأدب لا يقوى بالعلم، بل العكس. ولعل ذلك ما اكتشفته بعد سنوات الدراسة والبحث والتدريس.

عدد كبير من الأدباء جمعوا بين الفلسفة والأدب كجان بول سارتر والبير كامو، ولكن هذا الترابط بين الحقلين بدأ يتقلص شيئاً فشيئاً تحت ضغط التخصص المفرط للجامعيين وضعف الرؤى التي تؤجج ضمائرهم، إلى أن أصبحت هناك عند البعض منهم قطيعة بين الأدب والعلم. والحال أن كثيراً من العلم موجود في الأدب والشعر والمسرح. كتب سيغموند فرويد مستلهمة من التراث المسرحي اليوناني... الفيلسوف ميشال سير يفكك الأدب والعلم بنفس الشبكة والمفاهيم مثل التواصل، وعالماً في الأعصاب مثل انطونيو دمازيو، يعود إلى فلسفة سبينوزا وديكارت ليفنّد نظرية العمل الدماغي والعصبي بدون ركيزة دافعية وانفعالية وشعورية. فهو يعود إلى وقود الأدب والفن أي الشعور والانفعال وفي هذا هو سباق لجميع اكتشافات العلم الآتية...

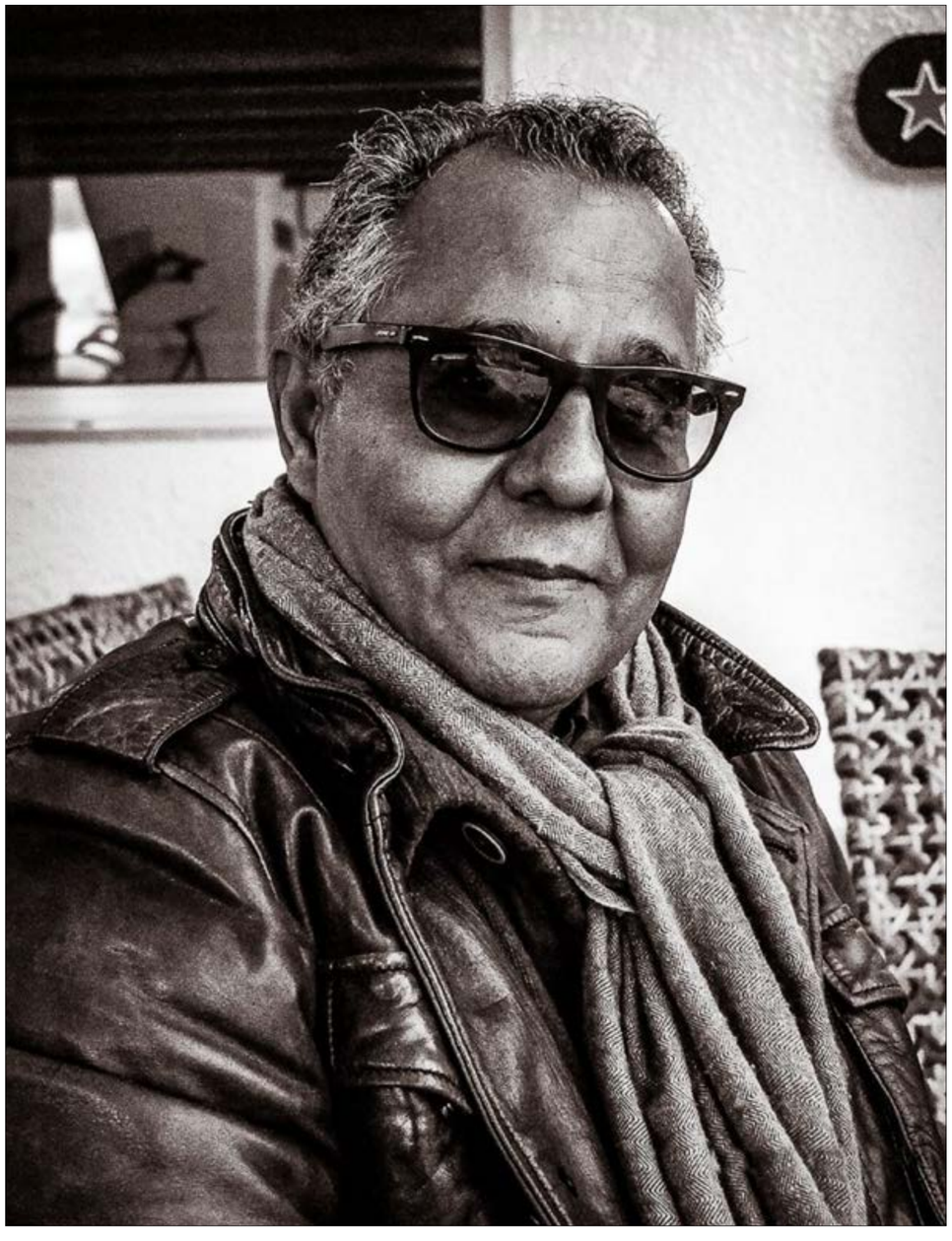

إذن، دخولي إلى العلوم الإنسانية كان بمثابة تمهيد لكي تتكوّن لي ركيزة لفهم الذات البشرية والواقع الإنساني، ولكي أتمكّن من العودة إلى غرامي الأول مسلحاً بهذه الأدوات. ولكن لا شيء من هذا حدث، لأن للعلم مقاييس وتواميس تضبطه، وللأدب حقلاً كاملاً ليس فيه من الضوابط سوى تلك التي يفرضها هو داخل الحقل. مثلاً كتاب بيار بورديو «قواعد الفن»، يبيّن استقلاليّة الحقل الأدبي وانفراده بتواميس هو الوحيد المؤتمن عليها والذي بفضله نميز من هو الأديب ومن هو غير ذلك... ولكن ليس هناك قطيعة بين الأدب والعلم. الكثير من العلم موجود في الأدب. وقود الأدب والفن هو الشعور

> **ليس للجميع القدرة على خوض المواجهة الذاتية التي فرضها الحجر المنزلي، بما يعتريها من قلق وياس واضطراب**

والانفعال وفي هذا هو سباق أحياناً لاكتشافات العلم الآتية لكن للأسف، هناك قطيعة بين الأدب والعلم في مجتمعاتنا العربية وهي من علامات التخلّف الحضاري، ويعود ذلك إلى منظومة التعليم في مدارسنا وتعويد الأدمغة على هذه القطيعة.

■ تمارس العلاج النفسي في عيادة خاصة. هل ترى أن شهرتك ككاتب تسهم في بناء الثقة مع من يقبلون عليك أم العكس؟

في الحقيقة أغلب زبائني يأتون من أجل مشكلة شخصية أو عائلية أو مشكلة مرتبطة بعملهم، ويقتصر تدخّلي على مرافقتهم لإيجاد الحل المناسب لتجاوز تلك المشكلة. وفي معظم الأحيان، لا يولون أهمية إلى انخراطي في الكتابة الأدبية أو على الأقل هذا ما يبدو لي. لكن طلبتي في الجامعة، كانوا يتفاعلون مع ذلك. وأعتقد أن ذلك يعود إلى فكرتهم عن أن الأدب وعلم النفس يلتقيان بما أنهما نافذة مفتوحة على الواقع العميق عند الإنسان. أما مسألة الثقة، فهي تنبني داخل العلاقة بين الاختصاصي النفسي والكاتب الأدبي، وهي لا تتأثر بعوامل خارجية مثل الشهرة أو غيرها.

■ أخيراً صدر فيلم «أريكة في تونس» للمخرجة منال العبيدي حول واقع التحليل النفسي. ما رأيك بالفيلم؟ وهل ترى أن الصورة التي يعكسها عن تونس صادقة؟

لم أشاهد هذا الفيلم، لكن تعرفت على بعض اللقطات وقرأت عنه بعض المقالات. لا يمكنني أن أشارك رأيي إلا بعد مشاهدته. لكن بصورة عامة، فإن حضور علم النفس والتحليل النفسي في المجتمع التونسي يتوسّع باستمرار. الوضع الآن يختلف عما كان عليه قبل خمسين أو أربعين سنة. فالحاجة إلى تدخل الاختصاصي والطبيب والمحلل النفسي هي الآن أمر يكاد يكون عادياً... ويشهد الطلب الاجتماعي على هذه الخدمة ازدياداً كبيراً من حيث الحجم والنوعية وتبقى المشكلة جودة الخدمات وقيمتها هي الحكم بينها.

■ هل يمكنك أن تحدثنا عن عملك البحثي المقبل، وعن نوعية البحوث المعرفية التي تخوضها في بنائه؟

إن مسألة التواصل هي محور أساسي منذ أعمالي الأولى، ولا تزال إلى يومنا هذا. حالياً، أنا في صدد إنهاء عمل في علم نفس التواصل باللغة العربية. ولكن ذلك يتطلب وقتاً وهو مرتبط بما يسمى التواصل الاستراتيجي الذي يعتمد على نموذج قام بابتكاره اختصاصيون أميركيون في معهد البحوث العقلية (mental M.R.I research institute)، ويتم اعتماده اليوم في عدد من البحوث ومراكز التكوين والعلاج.

■ ماذا تقرأ في هذه الفترة؟ وهل ساعدتك بعض الكتب التي قرأتها في فهم أبعاد الأزمة؟ وهل هناك عناوين معينة تنصح بها لقارئ العربي؟

في هذه الفترة الحالكة، شاءت الصدف أن تقع بين يدي مجموعة من الكتب للمؤلف الأميركي من أصل لبناني نسيم نقولا طالب، تجتمع فيها خصائص الكتب المثيرة للذكاء والمختلفة عما هو مألوف. وقصتي مع هذه الكتب عجيبة وغريبة وخصوصاً أنها كتب نزلت من السماء كما يقول المثل الفرنسي، أي أنها جاءت في الوقت المناسب. من بين هذه الكتب سأركّز على كتاب «البجعة السوداء ـ تداعيات الأحداث غير المتوقّعة» (The Black Swan: The Impact of the Highly Improbable ـ 2007) وقد قرأته بترجمته الفرنسية. يقوم الكتاب الضخم الذي يتجاوز الـ 600 صفحة على فكرة استحالة التعرف إلى المستقبل رغم محاولات العلم وأدواته الإحصائية المعروفة والمتطوّرة جداً. ويطلق الكاتب على هذه الأحداث غير المتوقعة والتي لم تكن في الحسبان صفة «البجعة السوداء»، التي يمكن أن تكون بجعة سوداء إيجابية وبجعة سوداء سلبية. ويتضمن الكتاب كيفية الاستعداد والتوقّي من هذه الظواهر النادرة التي يتّسم بها المستقبل غير المؤكد. وفي وضعنا الحالي، كانت البجعة السوداء هي ظهور وباء كورونا بشكل مفاجئ وغير مسبوق بحيث فاجأ جميع المجتمعات والحكومات من السند إلى الهند. إذ أصبحت جميع الاستراتيجيات المعهودة لمواجهة الكوارث غير مناسبة للوضع، وما نعيشه اليوم هو نتيجة فكرنا بأن المستقبل يحييه الماضي ولا شيء جديداً تحت الشمس. لذلك نامت جميع المجتمعات وخاصة الغربية على فكرة السيطرة في كل شيء وعلى الرفاه وعلى قدرة الطب وقدرة العلم واليقين به ونسيت ما تخبئه لها الأيام من مفاجآت سارّة وغير سارة. ويوصي نسيم نقولا طالب بعدم الإفراط في التمسك بالحقائق وتفضيل دروس الواقع والعودة إلى حكمة القدامى، والتواضع المعرفي لأن الزمن هو المقياس الوحيد والحكم الأخير لتنبؤاتنا. ووقوع هذا الكتاب بين يدي في هذه الفترة تحديداً، جاء كالبجعة السوداء. إذ سهّلت قراءته عليّ تحمل تبعات البجعة السوداء الأخرى المتمثلة في فيروس كورونا على العالم بأسره، ومنحتني فهماً نسبياً لما يحدث بشكل عام. ثانياً، هناك كتاب صغير هو رواية كتبها ميشال تورنييه، وهي موجّهة إلى الشباب بعنوان vendredi ou la vie sauvage وصدرت ترجمتها العربية بعنوان «جمعة أو حياة الفطرة» عن «دار الجنوب» (2003). لقد أعدت قراءتها هذه الأيام ووجدت فيها أجوبة لمسائل تتعلق بتجربة العزلة الإجبارية، التي أجبرت الناس على الانفراد تحت مصطلح غريب هو «الحجر الصحي» الذاتي والشامل. في الحقيقة، يتعلق الأمر بفرض مواجهة الأشخاص لأنفسهم في رحلة داخلية غير معهودة وغير مؤمنة. قبل كارثة فيروس كورونا، كانت الأيام تقتصر على الملهيات وراء أشياء خارجية: العمل، الطريق، المجتمع. واليوم يقبع الواحد أمام نفسه، محاطاً بخطر الإصابة، فيما خطر الموت يحدق بنا. إن وضعية روبنسون في كتاب مشال تورنييه تشبه أي شخص منا هذه الأيام. حتى الآن، نحن نعتبر من الناجين من هذه الكارثة مثلما نجا روبنسون بعد غرق سفينته فرجينيا ودفعته الأمواج إلى شاطئ جزيرة غير مسكونة، أطلق عليها اسم اسبيرنزا، وتعني أمل. الرحلة التي قام بها روبنسون منذ ذلك الحين تشبه كثيراً ما نقوم به الآن، فهي رحلة داخلية ولقاء الذات مع الذات يعتريه الاضطراب والقلق والحيرة ويتلاعب به اليأس والأمل والعزيمة والإحباط والرجوع إلى الوراء والحزن والوقوف مجدداً والبحث عن إعادة تنظيم الحياة. كل هذه التقلبات تحمل مفاجآت جديدة إلى روبنسون تتلخص في التعرف إلى نقاط ضعفه وقوته وتلمس شكوكه وهشاشة يقينه والاستسلام إلى تصاريف الحياة واستقبالها بل عناد. هذا ما يذكّر بأن الإنسان واحد، وبأن الخوف واحد وردود الفعل هي هي. لكن ليست لكل الأشخاص القدرة على خوض هذه الرحلة الداخلية والخروج منها بأقل الأضرار. لذلك، وجب الاحتياط والحذر واتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة لمرافقة الذين هم في حاجة إلى ذلك، وتقديم الإعانة لهم كما هي الحال في بعض البلدان وبعض الجهات (هاتف أخضر للرعاية النفسية والاجتماعية مثلاً) وتطويق ما بعد الأزمة بالقدر المستطاع.

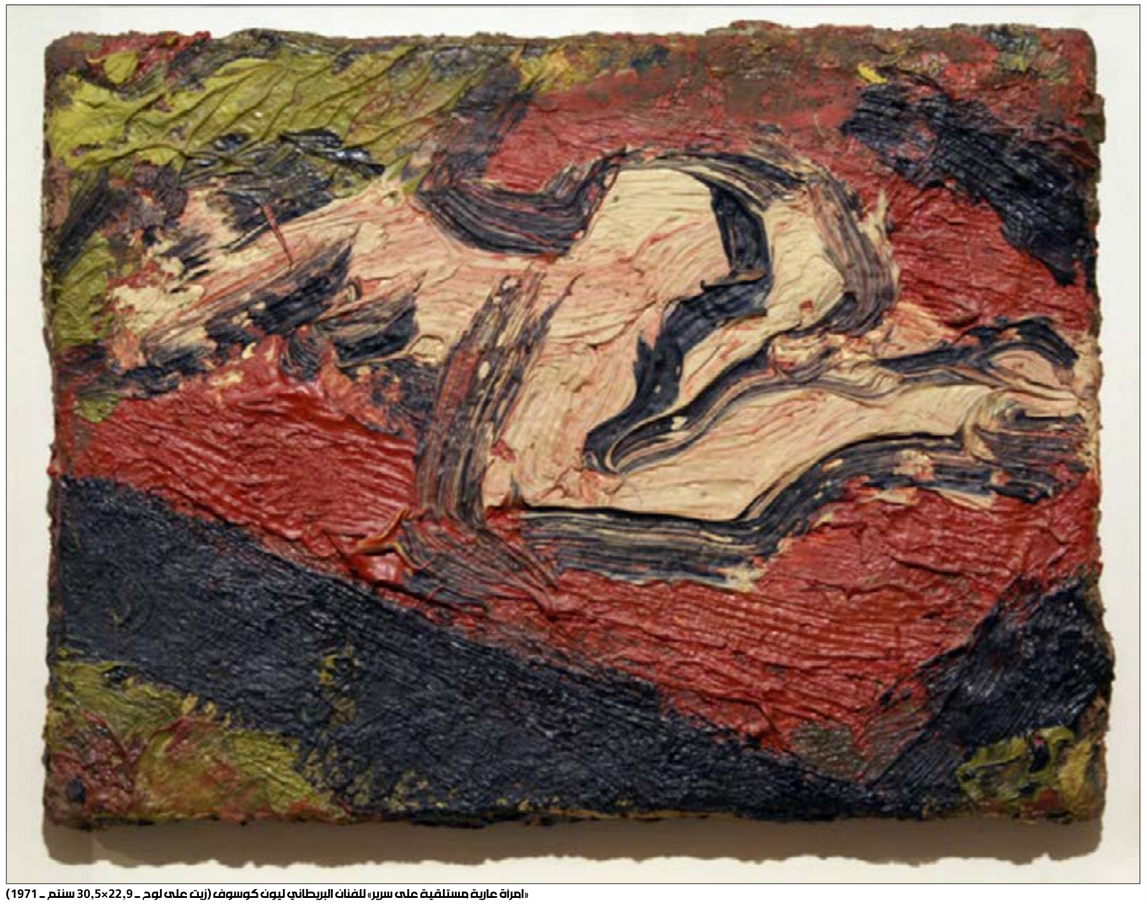

«امرأة عارية مستلقية على سرير» للفنان البريطاني ليون كوسوف (زيت على لوح ـ 22,9×30,5 سنتم ـ 1971)

نص

صمت

سهى صبّاغ

صمت بطول
ـ عليك أن تُقبّل.. أعرف ذلك.. لم يعد هناك ما يُقال.. سلام
ـ سلام

تبقى في سريرها. تعطي رأسها للوسادة، علّها تحلّ مكان أمّها، أو مكان حضن الجدّة التي أخبرتها أساطير عن بطل يدخل الحلم، تتجسّد الأسطورة وتغيب. تتخيل ممثّلة في فيلم ميلودرامي تنتحر.. يا للغباء. تقفل شاشة الخيال. تحسد أحياناً الأغبياء. ابتسامة ساخرة، متسائلة: من هو الذكي في هذا العالم، بل في هذه الغرفة المُغلقة؟! حتى «أينشتاين» وصفه أستاذه بالحمار. يا لغباء الأستاذ الذي يعتقد بأنه ذكي. تتوقّف عن الهذيان. فلتكن الأمور كما هي، لم يبذل أحدٌ منها أي جهد كي يبدّلها. ابتسامة خجولة لتملأ فراغاً ما.

الصوت: ابتسامتك عنف رمزي.

تختفي الابتسامة. رسمة لأيقونة ساخرة تسأل: ألم يكن هو بكلّه، وتسلّله إلى حياتها عنفاً رمزياً؟!

أخبار عن وباء يجتاح الصين وتتمدّد. بدأت تظهر ضحاياه بالعشرات، بالمئات، بالآلاف..

يتفشّى الوباء ويصبح جائحة تجتاح العالم. البلاد تستشرس على بعضها. من هو الناقل الأوّل؟ البشر يبدّون سمومهم. الدول الكبرى، كبرى ببثّ السّموم. يُقال هم من صنّع الجرثومة.. الوباء.. يصبح جائحة. يتناقل البشر الخبر، من خلف الكمّامات. الكمّامات بتضاعف ثمنها. تُفقد من الأسواق أجهزة التنفّس، واللباس العازل لمسامات البشر المعدية.

رجل ضخم بجثّة روحه الكارهة للبشر، هل تسع كل جرائم العالم؟! هو العالم بأكمله، يتّهم، يعاقب البلاد والعباد. مواطنوه يموتون خنقاً بدلاً عنه. فليموتوا ويخفّفوا عن ميزانية الدولة. آيّام وربّما لحظات وينتهون. المذبح يقرأ الخبر ببطء، محاولاً التحقّق من صحّته: كبار السّن لا حاجة لهم. مهلاً، الا يبدأ الموت بهرم مثله؟! يرعد ويزبد كبالون ينفخه الهواء وتزداد جرائمه. بالكاد يفتح فمه، كلعبة يُحرّكها ممثّل وهو يتكلّم من خلف الستارة. طفل يُقلّد بنزق وسخرية، يُشبه صوته سواء قطّ، ضحك هستيري للأبوين، لا تفسير له إلا الصدمات المتتالية، من الجائحة إلى رئيس بلادهما الغير سوي، يزداد الضحك الهستيري.

مقطوعات موسيقيّة لنشرات الأخبار والملاحق السّريعة، يتداخل بعضها ببعض. الأذان تُعبئة. عدّاد الأموات يتصاعد، في بلد الرّجل الذي يُشبه القطار وبلاد حلفائه، بل التّابعون له، فهو واحد لا حلفاء له. رجل كقطار بمبذلة سوداء وربطة عنق حمراء، زرقاء، صفراء كشعره الطائر، مجنون يصرخ. الصّوت معبّأ في خدّيه، لكنهما لا يُشبهان خدّي عازفي الساكسفون. يا إلهي لا يشبه أي شيء يُذكر. قناع وجهه السّميك يُشعرك بانسداد المسامات. تكاد تختنق حين تشاهده. لا خفّة لهذا الكائن.

الأنهار تُكمل جريانها. السّماء تَنضُر. ما عاد هناك ما يُعكّر صفوها. توقّفت السيّارات والطائرات وكل المولّدات. يختفي البشر، إلا من بواخر وطائرات قليلة لنقل العلاجات والكمّامات التي يتسابق على سرقتها القيّمون على البلاد المصنّفة على الخرائط، الأولى، وهم المعتادون، لا يوفّرون حجراً ولا بشراً إلا وسرقوه ونكّلوا به؛ لكن في بعيدهم، استثناء لطائرات حربهم التي لا تُهادن. تُكمل بقصف البشر، تتعدّد طرق موتهم. كولديرا، مجاعة، طائرات وصواريخ حديثة وعالية الجودة في السّحق والفتْك..

صوت طيور من المدى السّحيق. طيور اعتقدْ أنها انقرضت، تُرفرف في السّماء. البشر في عُلبهم الباطونيّة مندهشون. هل كل هذا في قلب الأسطورة؟!

كانا ليتبادلان هو وهي هذه الأحاديث، كما كانا يفعلان من قبل، فالمستجدّات كثيرة في البلاد، وما بين نقاش وآخر، يحفظ صورة شخصيّة لها، تُبدّلها عن شاشة هاتفها من وقت لآخر، مُبقياً على تحفّظه، تبتسم. لكن، مع الحجر المنزلي الذي فرضته البلاد، هل كانا سيلتقيان؟

ربّما تشي له بأنها ستخرج مضطرّة لأمر ضروري، ربّما تأتي بدواء، وتعود سريعاً إلى الحجر. إن صادفت شرطياً، تقول له الكلام نفسه. ستجده في الشارع الطويل الفارغ من البشر. يقفان على مسافة التباعد الاجتماعي حسب التعليمات الطبيّة. يبتسمان لبعضهما. لو يُعيدان ترتيب الأرض ويبدآن وحيدَين كآدم وحواء، ولا يُنجبان، كي تبقى الأرض نظيفة. يتفرّغان لنفسيهما، لبعضهما ـ أيضاً ـ كانت لتقول له تخيّلاتها هذه.

الأرض نظيفة من الأصوات المشوّشة. تصلها خفقات قلبه من البعيد. كلّ يختار سيّارة ويجلس فيها، فالبشر نحروا أشجاراً كثيرة واستبدلوها بالسيّارات والبواطين. آه لو كان كل منهما يمتلك حصاناً أو حماراً، فيترافقا بجولة.

من جديد، الحيوانات في الشوارع التي كانت في السّابق، أرضها وغاباتها. كانت كل تلك السّنين مختبئة من البشر. من الأتعم الحادّة، وباروداهم القاتل. البشر يا صاحبي ألّفوا القصص والأساطير عن الحيوانات التي اعتبروها مفترسة، من منهما المفترس؟ الغزلان تمشي في الشّوارع. يشعرون بغربة المكان كما تشعر هي. لا تنسجم مع البشر. حين انسجمت معه كان حدثاً يشبه وجود الغزلان في شارع عريض، أرضه صلبة، أنشئ للسيّارات وليس لدعسات الغزلان، ولا لنعامة لا تجد تراباً تُخبّئ رأسها فيه كي لا يدمع كبرياؤها أمام أحد.

بركضان في الشّارع. يضحكان. الضّمت يمتلئ بالصّدى، يمتصّ أصواتهما. ترسمه كي تقتنع أنه ليس بشبح. تشاغب. تعرّيه. ستضع رسمتها بمتحفها الخاص. تتهامس النّساء ويتغامزْ الرّجال.

قبلة لثنائي أمام لوحة تضمّهما. تنبت زهرة على شرفتها. تكسر حجرها الصّحّي.

رفيف من الطّيور، سرب من الغربان، سحابة معتمة تصل إلى بلاد بعيدة كبيرة، نشبات على جثث شعوب. قضمت الغابات وشرّدت الحيوانات من أوكارها. هل شرّدت الحيوانات فحسب؟ الآن، ينزوي أهلها في بيوتهم. هل تستوعب الشعوب ما جرى؟ هل الطّبيعة تنتقم. هل الشعوب المسالمة تستعيد ماءها وسماءها؟

هلّا تركوا الخالق بحاله، وهو الذي سئمهم، فلا يسألوه شيئاً؟

كانت تودّ أن تلفّ ذراعها حول عنقه. تدفعه برفق راقصة «فالز»، ويستديران، ويطير ثوبها وشعرها. يحملها ويده على ظهرها العاري.

«زقزقة العصافير تغطّي أرجاء المدينة، اتصدّق؟!» هذا ما كانت تودّ أن تسأله إيّاه، وأموراً أخرى كثيرة، تتساءل أمامه، وتفكّر بصوت عالٍ. تلامس خدّه بنعومة الهواء. يطولّ شعره مرتبطاً بعصر آدم. يغطّي شعرها أماكنها الحسّاسة، كحوّاء، وهو الشقي يحبّ أن يكشف الغطاء.

هناك وسائل تواصل حديثة لم تُعطّل. لكنها خارج خدمتهما. تفرّ ابتسامة حائرة إلى السّماء. تنكسر قُبلة، وشوق كثير.

صامتةٌ الأرض. تَضِرّة السّماءُ. النّور يُطبطب على روحها كي تنام. هناك بشر كُثر ينامون وحيدين تحت التّراب، أوقعتهم الجائحة، ولم تُلوّح لهم يد الوداع. يُنقّلون بشاحنات، ويُدفنون بمقابر جماعيّة.

أوجاع في الرّوح لم تكن تُحكى، وتبقى أسراراً. الجائحة، هي الوحيدة الذي فُضِح أمرها.

مريم الأحمد *

شعر

ست قصائد

1. قل

قل للحقل العاري
«لا أريد دمعاً من أحد
أريد وسادة مريحة
لقدميّ»

قل للذاكرة الثعلبية
«ذلك الخروف على سفح الليل
رأسي»

قل لرؤوس أصابعك
«يبدأ البكاء من هنا
وينتهي. وسط العين»

قل لعينك العرجاء
«أريد حصتي من ماء
الحب»
قل لريحانتك
«أحتضنك وعداً
يا بريقَ الوحي
وأحميكِ بأسنانٍ وجعي»

قل لجثتك وهي تنزل بهدوء
«ما أضيق الحفرة»

2. لانني

لانني قصيرة ابتكرتُ الوثوب
لانني واثبة ابتكرتُ الأغصان العالية
لانني غصنٌ عالٍ ابتكرتُ الشمس
لانني شمس ابتكرتُ العطش
لانني عطش ابتكرتُ الحب
لانني حبّ ابتكرتُ الدمع
لانني دمعة ابتكرتُ المطر
لانني قطرة مطر ابتكرتُ الرشفة
لانني رشفة ابتكرتُ النبع
لانني النبع ابتكرتُ الصخرة
لانني الصخرة ابتكرتُ الانظار
لانني اليد التي لن تسلمَ يوماً ابتكرتُ اللمسة
لانني اللمسة ابتكرتُ الشوق
لانني الشوق ابتكرتُ الشعر
لانني الشعر مزّق الشعراء قلبي

3. ارجوحة

قل لي يا أبي:
هل صحيح أنك صنعتَ أرجوحتي
من توابيت قديمة؟

تعود أميّ كل موسم قمح
وتطعم عصافير عمرها
وبحنجرة الصوان تطحن مسائي

أبي
من حرق القمح؟
هذه السنة خبز أمي حنين

في ممرّ الهندباء
تقطف أمي مرارة عروقي

ينبشُ أبي تحت الحقل
مثل كل الجوعى
وفي المساء ينتزع من حلقي حصى اليأس

أبي
يسدّ باب الموت
بخشب التابوت

أسرع يا أبي أسرع
الحرب عود ثقاب
والخوف كبريت الوجع الهش

4. فوانيس الشعراء

تحكّ أمي فانوسها كل مساء
لا مارد يخرج ولا قزم
أخرج مع أخوتي إلى شارع الطفولة
لنتنفّسَ العالم بلا معجزات

لم يجتهد أبي في تفسير القرآن
ولا الإنجيل
اتّبع بكل بساطة قريحته الشعرية
كان يحكّ جذع الشجرة لتكبر
رأس القطة لتغفو
ظهري عندما أتقلب في نومي

في المدرسة أحكّ كتاب الشعر
يتساقط الشعراء على رؤوسهم ضاحكين
أدحرجهم في كفيّ كالحصى
الملونة جالبة الحظ
ت.س. إليوت يعاني من إمساك لغوي
سيلفيفيا بلاث تغص بفطائر الشعر المؤجلة
رامبو يصرخ ساخراً "أنا آخر أنبياء الشعر"
أن سكستون تجهّز طريقة طرية لانتحارها

أختي تحكّ شفتي الشمس بكمّ القميص
وتحدثني طويلاً عن هوية الإنسان كإنسان
وأنا أهرش رأسي إذ تموت أمي في مظاهرة
مناهضة للتزمت الديني
ويموت أبي في اعتداءات على برج الشك واليقين
وتنصحني أختي "لا تكتبي المزيد من الشعر إنه يهدم"
أحكّ فروة الوحي
فتنداحُ القصائد

5. انا النهار

نافذة واحدة لا تكفي
لترى العالم
تحتاج دوماً إلى نافذتين
مغلقتين
وباب مفتوح

عين واحدة
لا تكفي لتغرقَ في النور
تحتاج دوما إلى حبلٍ متين
تسحبُ به الشمس
من تحت بابك

وردة واحدة على قميصك
لا تكفي
لتقطفَ الشعاع
تحتاج إلى غابة من الأغنيات

طريق واحدة لا تكفي
لنصلَ الشمال بالجنوب
والعين بالعين
ماذا سيحلُّ بالمتسعين؟
ماذا سيحلُّ بالنائمين
تحت شجر المسافة؟

شجرة واحدة لا تكفي
لتسقط الغيمة في فمي
وتورق خلسةً سماء صغيرة
تحت لساني

شفةٌ واحدة لا تكفي
لأغني تحت النافذةِ المغلقة
«أنا النهار
أنا النهار
افتحوا لي»

6. نهر العطش

أبي رجل قوي جداً
حمل على ظهره أولاده الخمسة
وشوال القمح وسكة الفلاحة
المعوجة
وعبر النهر.

أمي ضعيفة جداً
تخاف لمس الماء
لم تمسك يد أبي
بقيت في النهر وحدها.

لا يزال جدي يحاول إنقاذ
الثور من الغرق
قال
اعبروا أنتم إلى الضفة الأخرى
ازرعوا المدى قمحاً
سأصل إليكم بعد مئة فيضان
بقرني ثور
وظهرٍ حانٍ

تغيّرت الأرض كثيراً
يا جدي
صار عندنا شقة فخمة تتلألأ
فيها كؤوس الكريستال
في الصباح نأكل أنا وأخوتي
الكرواسان
بالشوكولا
نعطش
نعطش
لكن لم يبقَ نهر أبداً
ليلعب أخي الصغير في نزهاته

أو لتعبره أمي إلينا
لم يبقَ نهر لنسقي
فراشات أصابعنا
لم يبقَ نهر لمركب جدي الثقيل

وحده نهر الليل
يعبر البلاد
ويزيدنا عطشاً.

* طرطوس

«دمى» للفنان السوري مروان قصّاب باشي (زيت على كانفاس ـ 162,5 × 129,5 سنتم ـ 1980)

قصّة قصيرة

الطلقة الأخيرة

مروة رزق *

في الحرب تتغيّرُ معادلاتٌ كثيرة. يختلفُ مفهومُ الفرح، ويتعاظمُ الحزنُ، وتتخذُ الأمنياتُ شكلاً آخر. في الحرب تكون الأمنيةُ شعلةَ نار، أو خيطاً من النور، وتصبحُ الحبيبةُ بندقيّةً، والموتُ عرساً. في الحرب يتوهُ الزمنُ، ويقاسُ الوقتُ بطرفةِ العين، وتنقلبُ موازينُ الليلِ والنهار، ويصبحُ الشهرُ ضرورةً بعد أن كانَ متعةً وترفاً.

كانَ وسام يفكّرُ بهذهِ الأشياء بينما يَشدُّ رباطَ حذائِهِ استعداداً لاستلامِ نوبةِ حراستِهِ. احتضَنَ سلاحَهُ، وحينَ وصلَ إلى رفيقِهِ ضَربَ كفَّه بكفِّ الآخير، واتّخذَ موقعَه مكانَه.

هذهِ الليلةُ باردةٌ جداً، أجلسَ وحدي بينَما يرقدُ باقي الرفاقِ، الظلامُ شديدٌ، والنجماتُ تجتهدُ لتضيءَ السّماءَ في غيابِ القمر.

ساعةٌ ونصفُ تفصلُني عن انتهاءِ نوبةِ حراستي، أقضيها برفقةِ كوبِ الشايِ الذي صارَ مثلّجاً بفعلِ البرد، وبندقيّتي التي عقدتُ قراني عليها بعقدٍ أبديّ.

المكانُ غارقٌ في السّواد، فلا أستطيعُ أن أرى شيئاً أبعدَ من محيطِ النارِ التي أشعلتها.

هدوءٌ تامّ، كلُّ شيءٍ ساكنٌ هُنا عدا الهواءِ الذي يأتي مشبّعاً برائحةِ البارود. رائحةٌ قويّةٌ لدرجةٍ تطغى معها على رائحةِ أجسادِنا التي لم تنعم بمتعةِ الاستحمامِ منذ 20 يوماً تقريباً.

المدينةُ معزولةٌ تماماً، كلُّ الطرقِ إليها مقطوعةٌ، والقتالُ على الحُدودِ محتدم، أمّا نحنُ فمحاصرونَ هنا بحدقيّةٍ، والموتُ عرساً. في الحربِ من الماءِ والطعام، وذخيرةٌ قد لا تكفي في حال تعرّضنا لهجومٍ مباغت.

ستنقضي نوبتي بعدَ وقتٍ قصير. قصيرٌ ولكنّه كافٍ لتدخينِ سيجارةٍ واحدةٍ أذهبُ بعدَها للقاءِ أحلامي التي أرجو ألا تكونَ دمويّةَ هذهِ المرّة. لم أكُن مدخناً، والآن أنا أتنفّسُ من خلالِ سيجارتي، هذا تحوّلٌ آخر من تحوّلاتِ الحرب.

دوّنَ ذلكَ في مفكّرتِهِ، أغلقَها، ألقمَ النارَ قطعةً من الحطبِ وتأمّلها وهيَ تحترق.

لم يكُن متاحاً لهُ أن يشعلَ النارَ من قبل، ولا حتى شمعة واحدة، فقد كانَت الاشتباكاتُ هُنا في ذروتِها. على مدى أيّام لم يسكتْ صوتُ الرصاص، ولم تتوقّف السّماء عن إمطارِ الأرضِ بالقذائف.

زحفَ الكثيرُ من الرجال، وكانَتْ أجسادُهم سدوداً منَعَت جنود العدوّ من التقدّم، ومناجلُ حصَدَت أرواحَهُم كما تُحصدُ حقلُ القمح.

زحفَ الرجالُ، وفرغَتْ صناديقُ الذخائر، فتمّ الإتفاقُ على هدنةٍ عساها تكفي لوصولِ الدّعم، فيُكملونَ ما بدأوا الشهداء.

وبينما يهمُّ بالنهوضِ شعَرَ بحركةٍ غريبةٍ في مكانِ وجودِ العدوّ، كانَ الليلُ هادئاً بما يكفي ليحملَ إليه وقعَ الأقدامِ المتسارع، وصوتَ احتكاكِ الحديدِ بالحديد.

أطفأَ النارَ، وأيقظَ الآخرين. أخلوا المَبنى بسرعةٍ تحسباً لهجومٍ مباغت، ولمّا لم يكن حولهم إلا الصّخور فقد استعانوا بها كمتاريسَ متّخذين وضعيّاتٍ قتاليّة خلفها.

لم يمرّ وقتٌ طويل حتى كانَ العدوّ يتّخذُ نحوَ المجموعة، ثلاثُ قذائفَ انفجرَت حولَ المنزلِ معلنةً خرقَ الهدنة.

أدركَ وسام أنّ حلّ أمامَهم إلا الموت أو الاستسلام، فتوجّه إلى رفاقِه قائلاً: ـ كانت الحياة بينكم طيّبة عذبة، والموت معكم أعذبُ وأطيب.

وصَدَوا الهجوم بما كانَ معهم من ذخائر.

فرغَتْ المخازنُ من رصاصها، وسقطَ الجميعُ شهداءَ ما خلا وسام الذي أخذَ يقلّب بصرَه بين جثثِ رفاقِهِ علّه يعثرُ في جعبةِ أحدِهم على مخزنٍ ممتلئ، وقد عثَرَ عليه فعلاً، فأسرعَ لأخذِه وتلقيمِ سلاحِهِ به، لكنّ رصاصةً اخترقَت خاصرتَهُ، وغيّرَتها من جهةٍ إلى أخرى، فسقطَ أرضاً.

وما هي إلا لحظات حتى كانَ عددُ من جنودِ العدوّ يتحلّقون فوقَ رأسِهِ، ينظرونَ إليه كغنيمةٍ ثمينة يعودون بها إلى قائدِهم.

ابتسَمَ لهُم ابتسامةً لم يدركوا مَعناها إلا حينَ انفجَرَتْ القنبلةُ التي كانَ قد أودَعَها بينَ أضلاعه، فكانَت شعاعَ نورٍ خرجَ من قلبه وحلّقَ به نحو السّماء، وقذَفَ بأرواحِهم إلى الجحيم. بينَ أشلائِهِ يقبعُ على مفكّرتِه، وقد كُتِبَ في آخرِ صفحاتِها: «نحنُ دوماً أصحابُ الطلقةِ الأخيرة».

*مشفرة/لبنان

«رسمة للوجبة الأخيرة» للفنان العراقي سروات بارات (2010)

توثيق

نور مصالحة: كانت تسمّى فلسطين... منذ أربعة آلاف عام!

انتقل كتاب المؤرّخ والأكاديمي الفلسطيني إلى العربية أخيراً («مركز دراسات الوحدة العربية» ـ ترجمة فيكتور سحّاب). بعدما كان قد صدر باللغة الإنكليزية قبل عامين. يتابع المؤلّف الضخم، تطوّر هويّة فلسطين عبر الزمن بالعودة إلى تواريخ الأماكن، وآثار الشعوب والحضارات التي فكّك نصوصها ليقدم الأدلة القاطعة على «أن الإرث التاريخي للفلسطينيين سبق ولادة الحركة الوطنية في العهد العثماني المتأخر وظهور الحركة الصهيونية الاستعمارية»

منى سكرية *

لأن فلسطين ليست مجرد تاريخ، ولأن لها أصول وبدايات، فقد جعلها المؤرخ الأكاديمي نور مصالحة «في التاريخ»، واقتضى تطور هوية فلسطين وتجربتها عبر الزمان في مُؤلّفه («فلسطين أربعة آلاف عام في التاريخ» («مركز دراسات الوحدة العربية»). ترجمة فيكتور سحاب - صورة الغلاف: مقطع من فسيفساء شجرة الحياة في قصر هشام بن عبد الملك، أريحا، فلسطين/ القرن الميلادي الثامن)، الذي كان قد صدر بالإنكليزية سنة 2018.

في الكتاب، تُتَبَّع مصالحة تواريخ الأماكن، وآثار الشعوب والحضارات، ولم يتلعثم في تفكيك لغاتها ونصوصها ليقدّم الأدلة القاطعة على «أن الفلسطينيين هم أهل البلاد، وجذورهم ضاربة في أعماق ترابها، وهويتهم الأصيلة وإرثهم التاريخي سبق ولادة الحركة الوطنية الفلسطينية الناشئة في العهد العثماني المتأخر، وظهور الحركة الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية». في المقدمة بعنوان «فلسطين: الاسم الشائع المُستخدَم عبر التاريخ القديم»، تكاد الأسطر تتحرّك نابضة على وقع الآلاف الأربعة من الأعوام في التاريخ، ومثلها الحجج والبراهين لدحض ما يُدرَّس في الغرب من تاريخ فلسطين «على أنه تاريخ أرض، لا على أنه التاريخ الفلسطيني، أو تاريخ شعب». يجزم مصالحة «أن اسم فلسطين هو الأكثر شيوعاً في الاستخدام منذ العصر البرونزي المتأخر (منذ 1300 ق.م) حتى اليوم»، معدّداً ومبرّزاً الاسم كما ورد في التواريخ، والكتابات والنقود، والحفريات، والخرائط بدءاً من العصور الكلاسيكية القديمة، والعصر الحديدي والعصر القديم، وفي الحقبة الانتقالية بين العصور القديمة الكلاسيكية والعصور الوسطى، ومثلها في العصور الرومانية والبيزنطية والإسلامية...

ناقش مصالحة وثبّت كيف أن أسطورة غزو «الإسرائيليين» أرض كنعان والروايات الأساسية الأخرى في العهد القديم (أو التوراة العبرية) إنما هي مجموعة كتب وُضِعَت عبر قرون متعدّدة، وهي روايات خرافية غرضها المؤسِّس لوعي خاطئ، وليست تاريخاً مؤسَّساً على أدلة تخدم الحقيقة وفهم الوقائع. هكذا بيّن «أن شعب فلسطين حتى مجيء الصهيونية السياسية الأوروبية، من خارج السياق الزمني، في بداية القرن العشرين، كان يضمّ عرباً مسلمين، وعرباً مسيحيين، وعرباً يهوداً. ومن الناحية التاريخية، القول بثنائية العرب مقابل اليهود في فلسطين بوصفه استدعاءً للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي الصهيوني، هو أمر مضلّل جداً، فـ«الفلسطينيون يمارسون انتماءهم لبلدهم فلسطين إقرادياً وجماعياً» (ص21).

خلال عشرة فصول وعناوين فرعية لكل فصل يعالجها الكتاب، يضع مصالحة بثنائية العرب مقابل اليهود في فلسطين المؤلف لـ«صورة جديدة لفلسطين 1805-1917»، ويعالج ضمن ما أسماه «كينونة فلسطين» وصيرورة فلسطين التي اقترحها درويش مع آخرين. هنا يخلص إلى أن الفكرة الوطنية لم تأتِ من فراغ وكانت متجذرة في الماضي المشترك في البلاد، وستتوقف أمام الفصلين الأخيرين التاسع والعاشر، وقد حمل التاسع عنوان «أن تكون فلسطين، أن تصبح فلسطين: إعادة اكتشاف فلسطين الحديثة وصورتها الجديدة وأثرها في الهويّة الوطنية الفلسطينية»، والعاشر تحت عنوان «الاستعمار الاستيطاني وتجريد الفلسطينيين: استيلاء دولة إسرائيل على أسماء الأماكن الفلسطينية»، لما للموضوعين قيد دراسة مصالحة من تحديات ومعاناة مستمرة في سياق الصراع العربي - الإسرائيلي، وتبعاته الماساوية على الشعب الفلسطيني تحديداً.

من قصيدة محمود درويش «على هذه الأرض ما يستحق الحياة»، يعرض المؤلف لـ«صورة جديدة لفلسطين الأصول القديمة لاسم «فلسطين»

يتوقّف عند «عبرنة» الاستعمار البريطاني لأسماء الأماكن التي كانت وما تزال جزءاً من الصراع السياسي

(بحرص مصالحة على تشكيل لفظ اسم فلسطين بالتشدّد على وضع كسرة تحت حرف الفاء وفتحة على حرف اللام) في إطار تعدّد العقائد الدينية والملامح المشتركة في البلاد، وستتوقف أمام الفصلين الأخيرين التاسع والعاشر، وقد حمل التاسع عنوان «أن تكون فلسطين، أن تصبح فلسطين: إعادة اكتشاف فلسطين الحديثة وصورتها الجديدة وأثرها في الهويّة الوطنية الفلسطينية»، والعاشر تحت عنوان «الاستعمار الاستيطاني وتجريد الفلسطينيين: استيلاء دولة إسرائيل على أسماء الأماكن الفلسطينية»، لما للموضوعين قيد دراسة مصالحة من تحديات ومعاناة مستمرة في سياق الصراع العربي - الإسرائيلي، وتبعاته الماساوية على الشعب الفلسطيني تحديداً.

من قصيدة محمود درويش «على هذه الأرض ما يستحق الحياة»، يعرض المؤلف لـ«صورة جديدة لفلسطين 1805-1917»، ويعالج ضمن ما أسماه الناس العاديين، كما تعاملت معها على أنها ذكريات للمسيحية الغربية – مسيحية تبحث عن هويّة جديدة في وسط الصراع المحتدم بين العقلانية والشك العلمي من جهة، وأصوليّة إنجيليّة حرفيّة من جهة ثانية».

من هنا يطلّ في الفصل العاشر على «الاستعمار البريطاني وتجريد الفلسطينيين: استيلاء دولة إسرائيل على أسماء الأماكن الفلسطينية»، من خلال «العبرنة» لأسماء الأماكن التي كانت وما زالت جزءاً من الصراع السياسي في فلسطين.

يشير إلى ما بيّنَتهُ باربرا توتشمان في كتابها «التوراة والسيف: هكذا جاء البريطانيون إلى فلسطين» كيف «اجتذب مغناطيسا التوراة والسيف ما لا يُحصى من الحجّاج البريطانيين والصليبيين والمبشّرين وعلماء الآثار التوراتيين والغزاة إلى فلسطين» (ص355). يضاف ذلك إلى ما وصفه وعالجه مصالحة عن اختراع الذات وتحويل الذات إلى شعب محلي وقديم، منها تغيير أعضاء النخبة الأشكينازية الإسرائيلية الصهيونية المفترسة أسماءهم الشخصية. في هذا السياق، يكشف أن بن غوريون كان قد وُلد باسم دايفيد غرون في روسيا، وكانت أمه تُدعَى شايندیل، وزوجته الروسية المولد وتُدعى باولين مونفايس الصديق، فيما في الواقع لم تفعل حين قابلت بن غوريون وتزوجت منه في نيويورك (غيّرت اسمها إلى باولا). وبعد الهجرة إلى فلسطين، صار اسم دايفيد غرون دايفيد غرين، ثم غيّر في ما بعد اسم عائلته واختار اسماً ذا صبغة توراتية، وتحوّل به حرفيّاً إلى معنى الأسد المفترس، أي أن اسم دايفيد بن غوريون هو حرفيّاً ابن شبل الأسد. كذلك، اختار اسماً ذا سمة توراتية لابنته غيولا (استرداد)، وابنه عاموس وهو اسم من صغار الأنبياء في التوراة، كما جاء في الكتاب.

يُشكّل الكتاب ثبتاً توثيقياً شاملاً عن فلسطينية فلسطين في سياق صراع الحق والباطل، كما أنه بمثابة المخرج في عيون الصفقات من أي جهة أتت.

*صحافية لبنانية

تاريخ

بنجامن كارتر هِت: هتلر وموت الديمقراطيّة

يزّ الحاج

ستبقى أيّ محاولة لكتابة تاريخ ألمانيا بين الحربَين مشيباً في حقل الألغام. فمن جهة يُفترَض بالمؤرّخ الموضوعيّة، ومن جهة أخرى لا بدّ لهذه الموضوعيّة من نتيجة محسومة سلفاً: ألمانيا المتّهم الأول والأخير في إشعال فتيل الحربين، والمتّهم الأوحد في صعود أدولف هتلر إلى السلطة. سيبقى السؤال المحرج الهامس: أيّ موضوعيّة تلك طالما أنّ النتائج مُحدَّدة مسبقاً؟ سيردّ المؤرّخون: اعتمدنا على وثائق وشهادات. هذا صحيح قطعاً، ولكنّ الوثيقة والشّهادة خاضعتان لتأويلات عديدة بالضّرورة. وفي ظل غياب تأويل الطرف الخاسر للأحداث، ليس أمامنا إلا القراءة الحذرة لأيّ كتاب أو وثيقة. وبسبب استحالة تسليط أيّ ضوء ولو شحيح على تأويل الطرف الآخر، تفادى المؤرّخون محيطات دماء الحربين، وهربوا إلى الفترة التي سبقت وصول هتلر إلى الحُكم، بهدف دراسة الأسباب التي مكّنته من الفوز بديمقراطيّة لا تشوبها شائبة. هل يمكن للناخبين انتخاب شخص سيئ وعنصري وشرير ودموي ودكتاتوري... إلخ؟ الإجابة بكل بساطة: نعم. ومن هنا تنبع أهميّة كتاب المؤرّخ الأميركي بنجامن كارتر هِت «موت الديمقراطيّة: صعود هتلر إلى السلطة وسقوط جمهوريّة فايمار» الذي صدر أخيراً عن دار «فواصل» بترجمة عدي جوني. يقوم الكتاب على فكرة بسيطة: أيامنا هذه تشبه ثلاثينيّات القرن العشرين، ولذا لا بدّ من دراسة تلك السنوات البعيدة كي نحاول فهم أيامنا التي تشهد صعوداً جديداً لليمين المتطرّف وللنّزعات الشوفينيّة في ظل هدير موجات هائلة من اللاجئين في أوروبا. لا يتناول الكتاب جمهوريّة فايمار (رمز الديمقراطيّة الأسمى في تاريخ ألمانيا وأوروبا) بل أواخر أيامها؛ وبالتحديد بين حدثين كبيرين: حريق الرايشستاغ (البرلمان ـ 27 شباط (فبراير) 1933) و«ليلة السكاكين الطويلة» (30 حزيران/ يونيو 1934). يؤرّخ هذان الحدثان لبداية فترة حُكم هتلر، مستشاراً لألمانيا أولاً في كانون الثاني (يناير) 1933، وصولاً إلى إحكام قبضته على منصبي المستشار والرئيس معاً في آب (أغسطس) 1934، حين بدأ رسمياً حُكم الرايش الثالث الذي وضع آخر مسمار في نعش جمهوريّة فايمار. ثمة استعدادات موجزة للحرب العالميّة الأولى وبداية تشكّل أفكار هتلر، وأضواء خاطفة على «عمليّة فالكيري»: المحاولة الفاشلة لاغتيال هتلر عام 1944. مع تفاصيل متشعّبة كهذه، كان لا بدّ من الانتقاء، لذا بدا الكتاب بفصوله الثمانية كأنّه ثمانية مشاهد في فيلم تسجيلي يلتقط تفاصيل متناثرة ترسم بمجموعها صورةً شاملةً بعض الشيء لألمانيا فايمار وما بعدها. مشكلة هذه الطريقة هي المجازفة بانفراط التناغم أحياناً بين تلك التفاصيل بحيث لا يفهم القارئ غير المطّلع نقاطاً كثيرةً في دوّامة الأسماء والتواريخ المدوّخة. ولذا تبدّى التخبّط أحياناً بين مقدّمات الفصول التي تستلهم السرد الروائي في لقطات شفيفة منتقاة ببراعة لشخصيات وأحداث، وبين الفصول نفسها التي نحت إلى أسلوب جاف أحياناً غير بعيد من الأسلوب الأكاديمي الذي يسم معظم الكتب التاريخيّة، على الأخص بسبب خلوّ متن الكتاب من الحواشي التي فضّل الكاتب إزاحتها إلى ملحق في نهاية الكتاب بحيث اختلطت أفكاره مع أفكار مَراجعه التي استند إليها.

تلك ملاحظات نافلة لا تقلّل من أهميّة الكتاب الذي يبرع مؤلّفه في تدوين ملاحظات ثاقبة عن الحرب العالميّة الأولى ومشاعر الألمان الذين أحسّوا بالغبن بعد هزيمتهم التي تضاعفت بسبب معاهدة فرساي التي كانت سبباً جوهرياً من أسباب نقمة ألمانيا على أوروبا وصعود التيّارات المحافظة والقوميّة ومنها «حزب عمّال ألمانيا القومي الاشتراكي» الذي اشتُهر لاحقاً باسم «الحزب النازي». ليست تلك القوميّة المتطرّفة وليدة أفكار هتلر وحده، بل تجسّدُ للنقمة الألمانية المتفاقمة طوال 15 عاماً، بحيث بدا هتلر بمثابة خلاص من هذه الرمال المتحركة التي أدخلتهم إليها الأحزاب الليبراليّة والأرستقراطيّة التي راهاً الألمان خائنة حين ارتضى زعماؤها عار معاهدة فرساي المجحفة. وبالرغم من محاولات هِت تقديم توصيف موضوعي للأحداث، إلا أنّ بوسعنا أن نستشفّ انحيازه المتوقّع إلى جنّة فايمار الليبراليّة، وانحيازاً أخطر إلى «عدالة» معاهدة فرساي التي يُقلّل من وطأتها في مواضع عديدة، ويرى أنّ الألمان بالغوا في توصيف ظلمها، بل إنّهم لم يُبدوا «أدنى امتنان» للفرنسيّين حين انسحبوا من الراين عام 1930.

ولكنّ ذلك الانحياز الجزئيّ لا ينسحب على تحليلات المؤلّف الصائبة حيال أسباب انتشار النازيّة لدى البروتستانت في المناطق الريفيّة، ولدى بروتستانتيّي الطبقة الوسطى المدينيّة. وكذلك الأمر بالنّسبة إلى تشريحه الدقيق للأحزاب الألمانيّة والمؤامرات الكثيرة المناصرة لهتلر والمناوئة له في آن التي يمكن لنا أن نستشف منها – على نحو غير مباشر – أنّ البديل لن يكون أفضل بالضرورة. فالشيوعيّون لن يكونوا أقلّ دمويّة أو دكتاتوريّة من النازيّين لو وصلوا إلى الحُكم، والأرستقراطيّون لن يكترثوا للأزمة الاقتصاديّة الطاحنة التي أنهكت الألمان؛ أما الليبراليّو الوسط والديمقراطيّون الاجتماعيّون الذين لا يخفي المؤلّف انحيازه لهم، فقد أضاعوا الفرصة تلو الأخرى في تحالفات خاطئة وسذاجة سياسيّة، على عكس النازيّين الذين اتقنوا قراءة التحوّلات السياسية الداخلية والخارجية وقراءة مشاعر الناس وانتهزوا الفرص بحزم دمويّ من جهة، وبذكاء بالغ حين استثمروا أحدث وسائل الدعاية في حملاتهم الانتخابيّة وفي الإعلام الذي كان بيد يوزف غوبلز، ملك البروباغندا السياسيّة.

يشير المفكّر الإنكليزيّ أيزيا برلن إلى وجوب عدم التعامل مع النازيّين بكونهم مجانين، بل بكونهم بشراً يمكن لهم ارتكاب أفظع الجرائم مع بقائهم بشراً «طبيعيّين» وقعوا ضحيّة تضليل هائل وأوهام فادحة وتلقين خاطئ. هذا ما نجح فيه هِتْ بدرجة كبيرة، إذ تناول النازيّين بكونهم ألمانا وأوروبيّين ضمن ظروف استثنائيّة، ولكنّه غفل عن تبيان الصورة الأخرى الأهم: مشاعر الألمان أنفسهم أو مشاعر الأجانب غير الأوروبيّين الذين لم يروا الوحشيّة أو لم يكترثوا لها بقدر اكتراثهم للاستقرار الاقتصادي والوضع المعيشي. نجد تلك الصورة لدى الراحل عمر فرّوخ في سيرته «غبار السنين» التي دوّن فيها مشاعره أثناء دراسته في ألمانيا هتلر بين عامي 1935-1937، حيث يركّز على التّنظيم والاستقرار، مقلّلاً من أهميّة القبضة القاسية للنّظام على الحريّة الشخصيّة، إذ يرى تلك القيود «نعمة على أصحاب الاستقامة في الحياة. وقد كان الجهاز الحكوميّ يخدم المواطن والغريب على أنهما إنسانان». يتحدّث فرّوخ تبعاً لأخلاقه المحافظة ونفوره من السياسة، وهذا ما يتشاركه مع ألمان كثيرين بطبيعة الحال، ولكنّهم يتناسون الصورة الأكبر التي تضعّ ضحايا لا حصر لهم قُتلوا لأسباب واهية. الصورة الكبرى متاحة لنا اليوم، ولعلّنا نجد من يرسمها بلا أدنى تحفّظات.

تفاصيل متناثرة ترسم صورة شاملة للمانيا فايمار وما بعدها

فكر

محمد شقير... فلسفة العدالة وإشكاليات الدين

مريم شعيب

انطلاقاً من أن العدالة تشكّل أهم الموضوعات في المجتمعات البشرية وشرطاً أساسياً لتقدّمها وتكاملها، اختار الأكاديمي وعالم الدين محمد شقير فلسفة العدالة موضوعاً لكتابه «فلسفة العدالة وإشكاليات الدين والدولة والاجتماع الإنساني» (مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي). في مؤلّفه يبني عضو لجنة الدكتوراه البحثية في الفلسفة في «الجامعة اللبنانية» أهميّة العدالة على ضرورة حضورها في جميع نواحي الحياة كالسوق والمتجر والمدرسة والتلفاز والإذاعة والشركة والمؤسسة والفكر والوجدان والأدب والخطاب وفي كل البرامج المتعلقة بمشروع بناء العقل والوعي. هكذا يؤكّد أن نجاح مشروعها يعود في أساسه إلى الإيمان بها لارتقائها إلى أعلى مستويات القدسية باعتبارها أهم الأبواب إلى الله والطريق الأفضل لبناء الآخرة. ولعل هذا ما يجعلها أساساً في الرسالات الإلهية من الناحية الدينية وحاجةً ضرورية في بناء المجتمعات بجميع جوانبها من وعي وثقافة وأخلاق وسلوك وغير ذلك باعتمادها على العدل كأساس لهذا البناء، خصوصاً أن كل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تسود المجتمعات إنما تعود لأزمة افتقارها للعدالة.

في مؤلّفه، يشير الكاتب إلى ماهية العدالة وجوهرها الأخلاقي، للتأكيد على أن هذا الجوهر، رغم احتياجه إلى أسس معرفية وفلسفية وفكرية هادفة، إلّا أنه جوهر أخلاقي بامتياز. وهو بذلك يساعد على تشخيص الرؤية التي يجب اعتمادها لبناء مجتمع العدالة. يؤكّد شقير على دور الدين في صناعة العدالة وقيمها وسياساتها، عاملاً على تحليل جوهر المهدوية وحقيقتها، والتي تكمن أساساً في مقولة العدالة من بدء الخليقة إلى نهاية التاريخ. كما بلفت إلى ضرورة العمل على جعل العدالة الأساس والمرتكز في صناعة هوية مختلف المجتمعات، باعتبارها القيمة الأبرز لهذه الصناعة. انطلاقاً من هنا، وفي سياق إشكالات الوحدة والتقريب والاختلاف، يشير إلى أن تعزيز أطر التعاون البنّاء بين المذاهب والطوائف إنما يرتكز إلى العدالة ومشروعها، لما تشكّله تلك القيم من أساس متين وصالح لبناء العلاقات الصحيحة والهادفة، ولتجنّب جميع الانتكاسات والمفاسد التي يمكن أن تعتريها.

كذلك، قارب شقير بين العدالة والدولة مقسماً رؤيته إلى نقاط خمس تناولت أوّلها فكرة العدالة وإمام العدل، حيث إن صناعة العدالة تحتاج أولاً إلى إنسان ومجتمع العدالة. يضاف ذلك إلى حاجتها الصلة لتنتج إنساناً ومجتمعاً متشبعَين بتلك القيم، مع ضرورة الانتقال من فقه السلطة وأخلاقها إلى فقه العدالة وقيمها، خصوصاً أن الكاتب يؤكّد أن الأطروحة الدينية بمعناها الأصيل تهدف إلى إقامة دولة العدالة بمعناها القيمي والإنساني، وليس الدولة الدينية بمعناها السلطاني والتاريخي وذلك تحت عنوان/ سؤال «الدولة الدينية أم دولة العدالة؟».

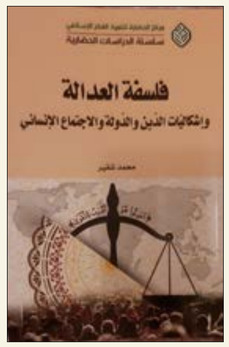

نموذج تطبيقي في معالجة الأزمة الاقتصادية والمالية في لبنان

يتساءل شقير عما إذا كانت العلمانية (المتطرفة) تخدم دولة العدالة» وهو ليس تساؤلاً استفهامياً بل مستنكراً، إذ أنه يدعو في إجابته الجهات العلمانية إلى انتهاج مستوى أفضل من العقلانية، واعتماد قدر أعلى من الموضوعية، والتحلّي بدرجة أرقى من العلمية في مقاربة بعض الطروحات الدينية الحضارية والمعاصرة، بعيداً عن أي تبعية أو دعائيّة. ينتقل للحديث عن الإسلام السياسي ومشروعه بين تطبيق الشريعة وإقامة العدالة، لافتاً إلى أن الأساس الذي يجب الاعتماد عليه في مشروع الإسلام السياسي هو إقامة العدالة، ووجوب النظر بمنظارها باعتبارها الميزان الأساس في كل القضايا الأخرى (بما فيها تطبيق الشريعة)، مؤكّداً أن تقرير المصير يرجع إلى العدالة وقيمها في كل ما يترتب عليه.

أما في ما يخص العدالة والعلوم الإنسانية، فقد أفرد تلك الفكرة تحت عنوان «بناء العلوم الإنسانية على أساس العدالة الوحيانية» للتأكيد على أهمية وضرورة بناء علم العدالة بين العلوم الإنسانية. يأتي ذلك في إطار السعي إلى إقامة هذا المفهوم في مختلف مجالات الاجتماع الإنساني، ما يعد من أبرز التحديات التي تواجه إيديولوجيات العدالة ومختلف الرؤى الكونية التي تقوم على أساس العدالة، وتهدف إليها في مقاصدها وغاياتها، وخصوصاً الدينية منها. وقد ختم هذا الكتاب الثمين في فصل أخير اشتمل على نموذج تطبيقي في فلسفة العدالة ومعالجة الأزمة الاقتصادية-المالية في لبنان للتأكيد على موضوعية وواقعية العدالة في بناء وإصلاح المجتمعات الإنسانية كافة.

لمحات

ميشيل مافيزولي

ضمن سلسلة «ترجمان» لدى «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، صدر كتاب «نظام الأشياء: التفكير في ما بعد الحداثة» لميشيل مافيزولي، بترجمة العربية (تعريب: سعود المولى ورنا دياب). في متابعته لتداعيات العيش المشترك، يظهّر عالم الاجتماع الفرنسي التناقض بين سلطتين الحكمة الشعبية بإفرازها وأخرى عموديّة مستمدّة من الله والعقائد التوحيدية. في المؤلّف، يتوقّف مافيزولي عند ظاهرة إعادة السحر إلى العالم، وفق تسميته، ليتوصّل إلى أن فترة ما بعد الحداثة شهدت تراجعاً للفردية في المجتمعات الغربية، ويظهر ما يعرّفه الكاتب بالقبلية.

زهير الهيتي

بعد «يومي البعيد» (2002) «الغبار الأميركي» (2009) و«أيام التراب» (2016)، ستصدر «دار الساقي» الرواية الرابعة لزهير الهيتي بعنوان «عش الجمر». في روايته الجديدة، يتابع الكاتب العراقي المقيم في ألمانيا بطله زعفران وغيابه خلال نهاية زمن وبداية زمن آخر كما جاء، في تعريف الرواية. ثمّة ملامح عدّة تطبع هذه الفترة منها الآثار المدفونة والتوجس من الغرباء، ورهبة الحرب قبيل وقوعها، حيث «شارع القائد العام صار رديفاً لطريق الجلجلة». تتوالى أحداث العمل في هذه الأجواء، حيث لا يستجيب زعفران لتوصيات وتحذيرات حليمة التي تنتظره من دون جدوى.

مها حسن

من خلال مشروع «الأدب أقوى»، تطلق «منشورات المتوسط» نسخاً فلسطينية من كتبها. ضمن هذه السلسلة، صدرت رواية «في بيت آن فرانك» للكاتبة السورية مها الحسن، التي تجمع فيها السيرة واليوميات والمذكّرات ضمن قالب روائي. الحكاية تبدأ في أمستردام ولا تنتهي هناك. تدور أحداثها في أحد البيوت الذي صار متحفاً ومكاناً للإقامات الإبداعية. تقضي الكاتبة أيامها هناك قبالة ذاكرة مزدوجة ستأخذها إلى فترة الحكم النازي ومعسكرات الاعتقال حيث ينقسم السرد إلى خطين متقاربين إلى حدّ الالتصاق.

سعيد عبد الهادي المرهج

«بناء الحكاية التاريخية عند الطبري» هو عنوان الدراسة التي صدرت أخيراً عن «دار دجلة الأكاديمية» للكاتب سعيد عبد الهادي المرهج. يحاول الباحث العراقي استكشاف حقل لم يخرج عن الدائرة الضيّقة للمتخصصين والمؤرخين. بهدف تقديمه للقرّاء. يسهم الكتاب في فتح الحكايات التفسيرية والتاريخية للإمام أبو جعفر الطبري على المناهج الغربية في دراسة الدلالة وشكل المحتوى لدى جيرار جينيت وأ. ج. غريماس وبول ريكور الذي عدّ السرد مكوّناً أساسياً للذات الإنسانية. اعتمد الكاتب منهج غريماس في معظم الفصول، وتحديداً باللجوء إلى المربع الدلالي، ودوره في إعادة النظر في تشكّل المجال المعرفي والمتن التاريخي.

أيوب بن مسعود

يخصّص أيوب بن مسعود مؤلّفه «تداخل الأجناس في أدب الرحلة» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) لأدب الرحلة. ضمن أربعة فصول، يوغل الكاتب والباحث المغربي في الأجناس الأدبية في أدب الرحلة، منطلقاً من تعريفات الرحلة وتغيّر مفهومها في الثقافة العربية. هناك عناوين أساسية في هذه الدراسة منها سرديات نصوص الرحلة، ونسق العلوم في الرحلة بالإضافة إلى نظرية الأنساق والنماذج التجريبية. كذلك، انطلق الكاتب من بعض النصوص الرجعية منها «الترجمانة الكبرى في إخبار المعمور برا وبحرا» لأبي القاسم ابن أحمد الزياني. كما جمع المناهج الغربية ومجالات التأويل الإسلامي لقراءة هذه النصوص.

الان مابانكو

تدور أحداث رواية «اللقالق لا تموت» (دار مدارك ـ ترجمة: سعيد بو كرامي) بعيد اغتيال الرئيس الكونغولي ماريان نغوابي. في روايته التي صدرت بالفرنسية سنة 2018، يجمع الروائي الكونغولي الآن مابانكو الأجواء السياسية في بلاده خلال السبعينيات مع الأجواء العائلية الحميمية للطفل ميشيل الذي يشهد على تلك الفترة مع عائلته. الطفل الذي لا يكاد يتجاوز الثالثة عشر من عمره هو من يروي هذه القصّة، بسخرية وبمرح أحياناً. يحكي تفاصيل الرحلة الصاخبة ما بعد الاستعمار الذي تبدّد شكلياً، فيما ظلّت أدواته حاضرة في البلاد. إنها فرصة للتعرّف إلى سرديّة أخرى عن تلك الفترة بقلم أشهر الكتاب المعاصرين في الأدب الأفريقي.

أوراق

الكتابة في صحارى بادية الشام والجزيرة العربية: تسلية أم ضرورة؟

زكريا محمد *

أثار انتشار الكتابة في بادية بين الشام والجزيرة العربية قبيل الميلاد وبعده دهشة الباحثين. فلدينا عشرات الألوف من النقوش التي نُقشت على الحجر بين شمال السعودية وشمال شرق الأردن وجنوب سوريا. وقد كتبها بدو من الجنسين، ووضعوا تواقعيهم عليها. وبناء على هذا الكمّ الهائل من النقوش، فقد افترض الباحثون أن نسبة كبيرة من بداة هذه الصحارى كانوا يعرفون القراءة والكتابة. بل لعله يمكن القول، ربما، بأنه كانت هناك مجتمعات بدوية قارئة كاتبة بشكل كامل. أي مجتمعات مُحيت أميتُها قبل ألفي سنة أو أكثر من محو الأمية في العصور الحديثة.

والسؤال هو: كيف حصل ذلك؟ كيف تمكنت مجتمعات بدوية تقضي جزءاً كبيراً من عامها في الترحال من تعميم الكتابة إلى هذا الحدّ من دون وجود دول وسلطات وقصور ومدارس أو أرشيفات أو غير ذلك؟ كيف استطاع هؤلاء البداة محو أميتهم في غياب كل هذا؟ والأهم ما هي الضرورة التي دفعتهم إلى هذا؟

الوحيد الذي حاول الإجابة عن هذا السؤال، أو الأسئلة، بشمول هو مايكل ماكدونالد أبرز الباحثين الأحياء في لغات شمال الجزيرة العربية في أيامنا هذه. بذا يعود الفضل إليه في تظهير هذه المسألة وبلورتها. وهو يقسم المجتمعات القديمة في صلتها بالكتابة إلى قسمين: مجتمع كتابي، حتى لو كانت غالبية أفراده غير قادرة على القراءة والكتابة، ومجتمع غير كتابي، حتى لو كان جزء معتبَر من أفراده قادراً على القراءة والكتابة، لأن المهمات الأساسية في هذا المجتمع تنجزها الذاكرة والكلمة الشفاهية.

وهو يعتقد أن مجتمعات البادية العربية - السورية كانوا من النوع الثاني. فهؤلاء لم تكن الكتابة والقراءة جوهرية عندهم ولا ضرورية للقيام بأمور الحياة الرئيسية. بل كانت نوعاً من اللهو وأداة لتزجية الفراغ: «النقوش الصفائية تكاد تكون كلها مخربشات، وكتّابها يتعاملون مع الكتابة كلعبة لا كشكل جدي من أشكال التواصل. هذه النقوش كانت، وإلى حدّ كبير، نتاج ساعات الفراغ القسري في الأوقات التي كان فيها كاتبوها». يضيف: «إذن، فلم تكن هناك ضرورة اجتماعية ملحّة دفعت البداة لتعلم الكتابة. كان الضجر والزمن البطيء الثقيل هو الذي دفع لتعلمها. بذا فالنقوش الناتجة عن هذا الوضع لم تكن موجهة إلى مستمع محدد أو مشاهد غير الكاتب نفسه. إنها مصنوعة من أجل متعته الشخصية، لا من أجل التواصل، وإرسال الرسائل. هناك وقت فائض عند الرعاة، وقد عثروا على لعبة اسمها الكتابة تستطيع أن تحقق لهم الغرض: تزجية الوقت. ويمكن للمرء أن يربط هذا التقدير بفكرة القرن التاسع عشر عن الصحراء العربية ذات الزمن السرمدي The timeless desert الذي يمر بطيئاً وثقيلاً. فهذا الزمن هو الذي ولّد الكتابة التي لا نفع لها سوى حرق الوقت. لقد نجح هؤلاء البداة إذن في تحويل الكتابة، هذا الاختراع البشري العظيم، إلى لعبة فردية للتسلية وللتغلب على الضجر لا غير.

أكثر من ذلك، يبدو أن الكتابة لم تساعد البدو الرعاة في شيء، بل أضرتهم في الحقيقة حسب ماكدونالد. فبدلاً من أن تساعدهم على الاندماج بالمجتمعات المستقرة: فإنها في الواقع فصلتهم أكثر عن الحضريين».

من ناحيتي، أعتقد أن فرضية ماكدونالد خاطئة، وأنها نهضت على سوء فهم لكتلة مركزية من النقوش الصفائية، التي تمثل بدورها الكتلة الأكبر من نقوش البادية العربية- السورية. بل إن هذه الفرضية تلعب الآن، في ظني، دوراً معيقاً في محاولتنا لفهم هذه النقوش. فإذا كانت هذه النقوش لا تطمح للتواصل، ولا تحمل أي رسائل، فهي عملياً بلا معنى.

المعنى المؤكد

والحال، أن الكتلة المركزية لهذه النقوش، بل غالبيتها الساحقة، تحمل رسائل محددة. رسائل موجهة إلى الأهل والأقارب وإلى أعضاء القبائل التي تجوب الصحارى والحرات والفلوات. أي أنها كُتبت بهدف التواصل. وهذا يفسر اللعنات التي تنتهي بها كتلة كبيرة جداً من هذه النقوش، والتي تطالب الآلهة بعقاب من يخرّبها أو يحرفها أو يقلب الحجارة التي كتبت عليها، أو يزحزحها من مكانها. ولو كانت هذه النقوش مجرّد لعب فردي لتزجية الوقت لما كان كاتبوها بحاجة إلى تدخل الآلهة لحمايتها. فنتاج اللعب ليس أمراً خطيراً تجب صيانته. لكن الحقيقة أنهم طلبوا تدخّل الآلهة لردع المخربين لأنها رسائل قد يؤدي محوها، أو تحريفها، إلى تضييع صاحبها للصلة مع أهله، وهو ما قد يؤدي إلى موته، أو موتهم، في الصحارى الشاسعة المخيفة.

ولأن الأمر يتعلق برسائل مؤكدة، لهذا تتكرر في هذه النقوش مئات المرات جمل مثل «ووجد سفر فلان، فعمل كذا» أو «ووجد أثر فلان، فعمل كذا» أو «ووجد توقيع فلان فعمل كذا». فالكاتب في كل هذه النقوش كان يبحث عن أثر أقربائه وأشياعه، عن نقوشهم في الحرات وأعماق الصحارى كي ينتجع بالقرب منهم، أو كي ينتجع على انتجاعهم، أو كي يقتفي أثرهم. وحين كتب نقشه، فقد كان يردّ على الرسائل التي حملتها هذه النقوش. أي كي يخبرهم أنه قرأها، وأنه عمل ما عمله انطلاقاً من فهمه لهذه الرسائل. وهو لم يعثر على هذه النقوش بالمصادفة المحض، بل بحث عنها لأنه كان يعرف أن أهله وأشياعه سيتصلون به عبر النقوش والإشارات في مكان ما من هذه المنطقة.

> وجد الأدلاء في الرحلات التجارية وفي الغزوات العسكرية، فهم خبراء العلامات الصحراوية

ونحن نعلم أن رحلة النجعة التي تبدأ مع بدء نزول المطر في الخريف هي أهم حدث اقتصادي- اجتماعي في حياة هؤلاء البدو. فهي تستغرق ما يقارب ثمانية أشهر، وتشارك فيها الكتلة المركزية من القوة العاملة في مجتمع البداة هؤلاء. إذ هي تبدأ من أواخر أيلول وتنتهي بين نهاية أيار ومنتصف حزيران. وهي عملياً رحلة حياتهم الاقتصادية. لهذا فكتلة هائلة من النقوش تتركّز حول هذه الرحلة ومشاغلها.

التوقيت في النقوش الصفائية

يحدّد عدد كبير جداً من النقوش الصفائية السنة التي كتب فيها الكاتب نقشه. وتضاف هذه السنة، في غالب الأحيان، إلى حدث محلي، يفترض أن يعرفه جيداً أهل القبيلة، أو أهل الفخذ القبلي المعني، على وجه التحديد. تقول بعض النقوش مثلاً: «سنة قُتل فلان» أو «سنة حفر فلان بئراً»، أو «سنة بنى فلان»، أو «سنة أقام فلان سدّاً»، إلخ. وتحديد السنة عامل حاسم بالنسبة إلى كاتب النقش ولأهله ولرسالته. فهو يريد لأهله وجماعته أن يفرقوا بين نقشه هذا وبين أي نقوش كان قد كتبها في السنوات الماضية. ذلك أن رحلة النجعة تحصل سنة بعد سنة. وفي كل سنة تكتب النقوش. لذا فعلى الكاتب أن يوضح لأهله وأقاربه في أي سنة كتب نقشه الأخير. عليه أن يقول لهم إن النقش الذي عثروا عليه، مكتوب في هذه السنة بدليل الحدث المحلي الذي يذكره. بالتالي، فهم حين يجدون نقشاً مرتبطاً بحدث من الأعوام السابقة فلن يهتموا به. ما يهمهم هو نقش السنة الحالية، سنة النجعة الراهنة. فهو الذي سيحدد لهم الموقع التقريبي لقريبهم أو ابن عشيرتهم. وهو ما يجعلهم قادرين على البحث عنه في منطقة هذا النقش كي يتواصلوا معه. بذا فربط النقش بحدث معروف أمر حاسم، ولا مجال للمزاح فيه. إنه مسألة حياة أو موت لكاتب النقش ولأهله أيضاً ربما.

نظام العلامات في الصحارى

عالم الصحارى والحرات في الجزيرة العربية وبلاد الشام عالم شاسع ومخيف. وعبوره ليس مسألة هينة أبداً. فالتضاريس قد تتشابه على مدى مئات الكيلومترات. لذا فعبور هذا العالم بأمان يوجب تقطيعه بالعلامات الموجودة فيه: جبيل أسود صغير يمثل علامة. بناء صغير قديم يمثل علامة. حجر وحيد في سهل علامة أيضاً. شجرة كبيرة علامة. ولدينا لائحة طويلة بأسماء العلامات الحجرية في المصادر العربية لا يسع المجال هنا لذكرها. والتعرف إلى هذه العلامات، وتسجيلها في الرأس، عند قطع الصحارى مسألة حياة أو موت. ومن أجل ذلك، وجد الأدلاء في الرحلات التجارية وفي الغزوات العسكرية. فالأدلاء هم خبراء العلامات الصحراوية. كل واحد منهم يحمل في رأسه خارطة لتوزيع هذه العلامات في المشهد الذي يعرفه.

على أن إنشاء علامات مصنوعة في المناطق التي ليس بها علامات، هو الأكثر أهمية في رحلة الانتجاع. وهذه العلامات تعني صناعة خارطة جديدة للمشهد. ذلك أن المنتجِع ينتهي في النهاية إلى أن يكون وحيداً. قد يسير مع رفقة ما في البدء، لكنه عند نقطة معينة ينفصل عنهم. فكل واحد يجب أن يبحث عن العشب في منطقة خاصة تكفي ماشيته. وحين ينقطع البدوي في رحلة نجوعه، فقد يدوم انقطاعه شهرين أو ثلاثة أشهر، وربما أكثر. من أجل ذلك، فهو ملزم أن يضع علامات لكي لا يضيع في تضاريسها المتشابهة، ولكي يتمكن من العودة إلى المكمن، أو «الوعل»، أي مكان التخييم خاصته، في كل مرة يذهب فيها بعيداً بماشيته كي يرعاها. فضياعه قد يعني موته، أو موت بهائمه. كما أنه ملزم أن يصنع علامات أخرى كي يستدل بها إليه أهله وعشيرته حين يريدون الوصول إليه. ذلك أن المطر قد يتأخر، فيحتاج إلى أن يرسلوا له ما يقيت به ماشيته. لذا فالطريق بينه وبينهم يجب أن يكون معلّماً.

الكتابة: علامة العلامات

ثم جاءت الكتابة. لا نعرف متى. لكنها جاءت. ومنذ لحظة وصولها، تغيّر نظام العلامات جذرياً في عالم الصحارى والحرات. صارت الحروف المكتوبة هي العلامة الكبرى والمركزية في نظام علامات الصحراء عموماً، ونظام علامات رحلة الانتجاع خاصة. لقد أعادت الكتابة خلق نظام العلامات من جديد، ووضعت نفسها على قمته. فمع وصول الكتابة، اكتشف الرعاة البدو أن لديهم علامة لا مثيل لها، تتفوق على جميع العلامات الأخرى. علامة بسيطة جداً يسهل فهمها، ولا مجال للخطأ بشأن ما تعنيه. فهي تحدد الأشياء بدقة كاملة. لا تستطيع الصوبة أو المنارة النصوبة أن تقول بدقة: أنا زيد مناة، وأنا موجود في هذا المكان. هي تشير إلى هذا إشارة، لكنها لا تقوله بوضوح كافٍ. أما الحروف المنقوشة على الصخر، فتقول هذا بدقة مطلقة. العلامة الحجرية المنصوبة من أجل أن يراها الآخرون هي رسالة. لكنها رسالة غير واضحة تماماً، ويمكن الخطأ في تفسيرها. أما العلامة الكتابية، فرسالة صادقة لا تخطئ في قول ما تريد.

وحين اكتشف البداة كم هي العلامة الكتابية حاسمة في تجوالهم الذي لا يهدأ في الفيافي، تعلقوا بها باعتبارها مخلّصاً. لذا سرعان ما استوعبها الجميع، وتعلموها. الأب يعلّم الابن. والكبير يعلّم الصغير. لم يكن هناك مدارس، لكن كان هناك معلمون. وهكذا انتشرت الكتابة بين البدو في الصحارى انتشار النار في الهشيم. وهذا أدى إلى أن محيت أمية الجميع في مجتمعات البدو الرحل. ليس فقط المنتجعون منهم، بل ومن يمكنهم أن ينتجعوا، ومن ينتظرون عودة المنتجعين عند مصادر المياه الدائمة. ليس الرجال فقط، بل والنساء أيضاً. ليس البالغون، بل والأولاد ربما. مجتمع بكامله صار يقرأ ويكتب.

وبهذا خلقت الظاهرة غير المسبوقة في العصور القديمة: مجتمع بكامله من الرّحل صار مجتمعاً كتابياً يعرف كيف يقرأ ويكتب. لم يحصل مثل هذا في المدن والقرى. هذا المجتمع يقع خارج تصنيف ماكدونالد الثنائي. فهو مجتمع كتابي، لكنه لا ينتج نصوصاً أدبية، دينية، اقتصادية طويلة. غير أنه من ناحية ثانية مجتمع يستخدم هذا الطراز من الكتابة لإنجاز مهماته الضرورية وعلى رأسها نشاطه الاقتصادي المركزي، أي رحلة الانتجاع السنوية. بذا فالتواصل، ومعرفة السبل في الصحراء، لتنفيذ رحلة الانتجاع خاصة، هو الحاجة العميقة التي جعلت الكتابة تفوز في عالم هؤلاء البداة. حاجتهم إلى التواصل في رحلة الانتجاع أولاً، وفي غيرها ثانياً، هي التي جعلت الكتابة تنتصر في أعماق الصحارى والحرات. هي التي اخترعت مجتمعاً محيت أميته قبل أكثر من ألفي سنة. لقد انتصر البداة على الصحارى المخيفة والحرات بالكتابة، بالحرف المنقوش على الصخر. انتصروا بالنقوش القصيرة التي تتكون من سطرين إلى خمسة أسطر عموماً. إنها في الحقيقة كتابة تشبه الرسائل النصية القصيرة في زماننا: The SMS messages

* شاعر فلسطيني